المقتطف

الجزء الثاني عشر من المجلد الثامن والعشرين

١ ديسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٠٣ — الموافق ١٢ رمضان سنة ١٣٢١

اقدم الآثار المصرية

للدكتور فلندرس بتري شأن كبير عند علماء الآثار المصرية لانهُ وسَّع تاريخ مصر بمكتشفاتهِ الكثيرة واوضح كثيرًا من غوامضهِ بمباحثهِ الدقيقة . ولهُ انداد من علماء الآثار يخالفونهُ في كثير من النتائج التي وصل اليها ولكنهم لا ينكرون عليهِ مقدماتها ولا يبخسونهُ حقهُ من الاكرام . وقد اطَّلعنا الآن على مقالة مسهبة لهُ جمع فيها زبدة ما اكتشفهُ حديثًا من آثار ابيدوس او العرابة المدفونة فاقتطفنا منها ما يلي قال

" لقد اظهرنا آثار مقام من اشهر المقامات المصرية يمتدُّ تاريخهُ من ايام الملك الاول من ملوك مصر الملك مينا الذي نشأ قبل المسيح بنحو ٤٧٠٠ سنة الى ايام الملك نختنورهب الذي كان سنة ٣٧٠ قبل المسيح . وهذه الآثار في طبقات منضدة بعضها فوق بعض كأنها صفحات كتاب مكتوب

" الآن الناظر اليها لا يدرك ما فيها ما لم يتعلَّم العلم الذي يُعرف بهِ مغزى رموزها اي شقف الخزف وحبوب الخرز وقطع الصوان ويعلم في اي عصر صُنع كلٌّ منها والنقب في اطلال المدن القديمة متلفة لتاريخها ان لم ينتبه الناقب لكل ما يجدهُ فيها من هذه الرموز او الدلائل واما اذا انتبه لها حق الانتباه وكان عالمًا بمدلولاتها قرأ فيها تاريخها كما يقرأ كتابًا مسطورًا "

والفضل الاكبر في وضع هذا العلم وتوسيعهِ للدكتور بتري نفسهِ وقد اخذهُ عنهُ صديقنا الدكتور فردرك بلس وقرأ بهِ تاريخ كثير من اطلال فلسطين . ومما يؤسف عليهِ ان الناقبين في الآثار المصرية قلما ينتبهون لذلك . دعانا المسيو ده مورجان لما كان مديرًا لدار الآثار

المصرية لمشاهدة ما اكتشفهُ من الآثار في دهشور فرأيناهُ ينزل الى اعماق الارض ليبحث عمَّا في مدافن الاموات من الكنوز والعظامُ والظرانُ مبثوثة على وجهها وهو لا يلتفت اليها فقلنا لهُ في ذلك واسفنا على تركهِ تلك الكنوز العلمية تتلف بالنقب والنقل ويُجهَل مكانها فصوَّب قولنا لكنهُ حسب ان الانتباه لها ليس من ولايتهِ · ولو كان الدكتور بتري هناك لحرص على تلك العظام وقطع الصوان اكثر مما حرص ده مورجان على ما وجدهُ من قلائد الذهب والعقيان

وقال الدكتور بتري في المقالة المشار اليها آنفاً "اني آسف كل الاسف لان الناقبين في المقامات الكبيرة مثل هيكل ايدوس لم ينتبهوا لما فيها مما يدل على تاريخها

" والظاهر ان ايدوس كانت اقدم عواصم مصر وكان هيكلها ينهدم ثم يبنى هيكل جديد على اطلالهِ فيتهدَّم هذا بكرور الايام ويبنى هيكل آخر على اطلالهِ وهلمَّ جرًّا الى ان توالت آثار عشرة هياكل في ما عمقهُ عشرون قدماً من الانقاض وقد بقي قليل من اساس كلٍّ منها وشيءٌ من جدرانهِ

"وفي عهد الدولة الثانية من الدول المصرية جُمع ما في هذا الهيكل من النذور القديمة او المكسرة ووضع في غرفة واحدة كأنهُ نفاية الهيكل وحطام ما فيهِ ثم وقعت عليهِ الانقاض وتراكمت قرناً بعد قرن حتى بلغ ارتفاعها فوقهُ خمسة امتار · وقد وجد كاس الملك مينا قرب هذه الحطام فهي من عهد الدولة الاولى على الاقرب

"بلغتُ هذه الحطام وهي من العاج والخزف المدهون وجعلت ارفعها واحدة واحدة واعجب بما فيها من بديع الصنعة · ورأيت العاج بالياً اذا امسكتهُ بيدك تناثر كالرماد فقطعت قطعة كبيرة من التراب فيها كثير من قطع العاج ووضعتها على طبق ونقلتها الى الغرفة التي احفظ فيها الآثار وتركتها اسبوعين حتى جفَّت ثم مسكتُ قلماً من اقلام الشعر التي يصوّر بها المصورون وجعلتُ انزع التراب عن العاج فاستخلصت قطعهُ كلها ووجدت انها مصنوعة في اشكال الاسود والدباب والسعادين والاولاد. ثم ظهر لي ثوب انسان وبعد قليل وصلت الى رأسهِ ووجههِ فاذا هو من ابدع ما نقشهُ النقَّاشون. ظهر امامي بعد ان لبث مدفوناً ستة آلاف سنة وعلى رأسهِ تاج مصر العليا وعلى بدنهِ حلَّة موشاة. تمثال ملك من اقدم ملوك العالم واعظمهم شأناً واشدهم بأساً تزري صناعتهُ بصناعة الرومان . تحاكي للطبيعة تامَّة لا يزيد عليها جمالاً ولا ينقص عنها اعتدالاً وهنا عنوان الاتقان في الصناعة وبلوغ الكمال فيها · ولقد انحطت صناعة المصريين بعد ذلك العصر فلم تعُد تبلغهُ

" ولم يكن هذا التمثال مفردًا بل وجدت معهُ تماثيل اخرى من نوعهِ اخصها تمثال امرأة

والمحاكاة فيهِ للطبيعة تامة ايضاً حتى ملامح الوجه لا تفرق عما يرى عادة في النساء . ومنها تماثيل اولاد واقفين او ماشين او جالسين وكلها طبيعية لا تقليد فيها ولا متابعة لشكل مخصوص . وتمثال دب رابض واسود مقعية وكلب كبير وهي تدلُّ على ان الناقشين كانوا في ذلك العصر يدرسون الاشكال الطبيعية ويدققون النظر في اوضاعها وحركاتها وسكناتها ويحاولون مضاهاة الطبيعة كما هي. فعلينا ان نعترف بان صناعة النقش نشأت منذ اكثر من سبعة آلاف سنة وبلغت حدها من الاتقان حينئذٍ ثم تجدَّدت خمس نوبات بعد ذلك ولكنها قلما فاقت الحد الذي بلغتهُ اولاً

"ولم يكتفِ اولئك الصناع بمحاكاة الاشكال الطبيعية بل صنعوا من الآنية والمواعين ما هو في حد الاتقان ايضاً فصنعوا الكؤُوس والقوارير من اصلد الصخور من الحجر الاعبل والحجر السينائي والبرفير والبلور والسبج . ووجدت الآنية التي صنعوها في قبور ملوكهم وهي تدلُّ على مهارتهم وعلى طموح ابصارهم الى ما يعجز الصنَّاع عنهُ ممَّا لم يفقهم فيهِ الذين جاؤُا بعدهم

"ومهروا ايضاً في صناعة الخزف ودهنهِ بمادة زجاجية وترصيعهِ كما يظهر من كاس الملك مينا التي وُجدت هناك فان عليها اسمهُ بدهان ارجواني وهو اقدم اسم من اسماء الملوك وُجد حتى الآن . ولا بدَّ من ان يكون الملك مينا قد مسك هذه الكاس بيدهِ ورأَى اسمهُ مكتوباً عليها واهداها الى الهيكل الاول الذي اقيم في تلك العاصمة . فقد صُنعت هذه الكاس قبلما حدث شيء من كل حوادث التاريخ التي نعلمها. قبلما بنيت الاهرام وولد تحتمس ورعمسيس وقبلما ظهر اليونان والرومان

"وكان المصريون الاقدمون يصنعون الزجاج الملوَّن ويزخرفون بهِ جدرانهم ويدهنون بهِ الاجر ويجعلون في اجرّهم حفراً تمرُّ فيها اسلاك من النحاس تربطها بعضها ببعض لتوثيقها في البنيان . وعلى وجه الاجر اضلاع تمثل سوق البردي ورؤُوسهُ حتى اذا بنيت بعضها فوق بعض ظهر نبات البردي منقوشاً عليها . والاجر ليس من قدرٍ واحد ولا من شكل واحد بعضهُ مضلَّع كما تقدم وبعضهُ محزَّز وبعضهُ في شكل الحصر وعلى بعضهِ كتابات مرصَّعة فيهِ ترصيعاً

"والكؤُوس في شكل النيلوفر وهي تدلُّ على ان اقتباس شكل النيلوفر لتيجان الاعمدة قديم جداً . ولون دهانها اخضر تتخللهُ نقط ارجوانية وهو كذلك في كاس الملك مينا ولعلها كلها من معمل واحد . وهناك اشياء كثيرة مصنوعة من الخزف المدهون كتماثيل الرجال والنساء والاولاد والاسرى والعبيد والقرود والطيور وذوات الاربع واشكال الهياكل وانواع الخرز وما اشبه كأَن صانعي الخزف كانوا يطمعون في تمثيل كل الاشياء الطبيعية والصناعية فيصنعونها من طين ممزوج بالرمل ثم يدهنونها بدهان زجاجي

"وقد وجدت قرميدة عليها صورة امير من امراء الزنوج واسمهُ واسم بلادهِ وهي حصن الانو . ومعلوم ان اسم الانو وارد مراراً كثيرة في الآثار المصرية لان الحرب كانت مستمرَّة بينهم وبين المصريين القدماء وبقي المصريون يعيّدون في مثل اليوم الذي تغلبوا فيهِ عليهم الى آخر عهدهم . فثبت من هذه القرميدة ان الانو من الزنوج سكان السودان وان مسألة السودان قديمة تمتد الى عهد المصريين الاولين

"ووجدنا في غرفة اخرى كثيراً من التماثيل الساذجة ويظهر انها قديمة جداً اقدم من التماثيل المشار اليها آنفاً واقدم من عصر مينا ولعلها وُضعت هناك لانها لم تعد تصلح للبقاء في الهيكل بعد ان ارتقت الصناعة فهي اقدم من عصر التاريخ وبينها تماثيل السعادين ومنها ما هو حجارة طبيعية وجدت تماثل نوعاً من الحيوان فاتخذت عوذة وحُفظت كما هي او أُصلحت قليلاً حتى يتم شبهها بالحيوان الذي تشبههُ . وبعضها من الصوان وهو كبير ارتفاعهُ قدمان او ثلاث وكانهُ وُجد في الصحراء مماثلاً في شكلهِ لبعض انواع الحيوان فاتي بهِ الى الهيكل رهبةً منهُ او تيمناً بهِ . والعقل الذي كان يتفاءل بصور الموجودات ويتشاءم بها لا يزال الى يومنا هذا يتفاءل ويتشاءم حتى في ارقى مجامع الحضارة

"والظاهر ان الناس اتصلوا الى صناعة النقش والتصوير من اهتمامهم باصلاح هذه الاشكال الطبيعية واني لاحسد اول انسان قال بعمل التماثيل من اي حجر كان بدلاً من الاقتصار على الحجارة التي توجد مماثلة لها فانهُ اول من كسر قيد التقليد ووسع المجال للعقل واقنعهُ بانهُ ليس عبداً للطبيعة بل سيد عليها . وليس هذه باول مبادئ الصناعة لان الانسان وجد في مصر قبل التاريخ بعصور كثيرة

"ووجدنا في تلك الغرفة رأس جمل مصنوعاً من الخزف . ولم يوجد رسم للجمل في القطر المصري قبل عهد اليونان مع انهُ كان معروفاً في بلاد الشام من عهد ابرهيم الخليل . ويستدل من هذا الرأس على ان الجمل كان معروفاً في مصر ايضاً على عهد الدولة الاولى من الدول المصرية . ومما يجري هذا المجرى اننا وجدنا قطعةً من الحديد بين قطع من النحاس من عهد الدولة السادسة التي كانت قبل المسيح بثلاثة آلاف واربع مئة سنة وكان المظنون ان الحديد حديث الاستعمال لانهُ لم يوجد في ما هو اقدم من الف سنة قبل المسيح من الآثار المصرية ولا كثر استعمالهُ الاَّ في عهد اليونان اما الآن فثبت لنا ان المصريين عرفوا الحديد قبل ذلك بثلاثة آلاف سنة

"ولا تقتصر هذه الآثار على تاريخ مصر القديم بل تتناول تاريخ اوربا ايضاً فقد وجدت

منذ مدة قطعاً من الخزف اليوناني القديم في مدافن ملوك الدولة الاولى من الدول المصرية · والآن وجدت في هذا المكان خزفاً اسود ليس من الخزف المصري في شكلهِ بل من الخزف اليوناني · اخذت قطعةً منهُ الى جزيرة كريت فوجدت بين القطع التي اكتشفها الدكتور ايڤانس في خرائب قصر كنوسوس قطعاً تشبهها تماماً شكلاً ولوناً ومادةً وصقالاً . والخزف الذي وجد في كريت يمتد تاريخهُ الى العصر الظراني الحديث الذي كان قبل المسيح باربعة آلاف سنة او اكثر فهو ينطبق على تاريخ المدافن المصرية التي وجد فيها هذا الخزف . فمبدأ العمران الاوربي متصل بمصر حين كان عمرانها في اوج مجدهِ

"ثم عثرنا على اسمٍ خالدٍ في التاريخ اسم الملك خوفو من الدولة الرابعة الذي بنى الهرم الاكبر من اهرام الجيزة وفعل ما غاظ كهنة بلادهِ فابغضوهُ وقالوا انهُ اقفل كل الهياكل ومنع المصريين من تقديم القرابين وامرهم ان ينقطعوا للعمل لهُ · ونقل هيرودوتس عن الكاهن مينثو ان هذا الملك كان مزدرًى في عيني الآلهة · ثم قال بعد ذلك انهُ نسخ الكتاب المقدَّس الذي كان المصريون يحترمونهُ كثيرًا . ويفهم من ذلك ان الرجل كان صالحاً ورعاً لكنهُ استصفى اموال الاوقاف فقام الكهنة عليهِ وكفَّروهُ

"وقد اكتشفنا تمثال هذا الملك في خرائب هيكل ايدوس . فقد طُرِح في مخزن من مخازنهِ كثير من النذور والتماثيل القديمة طُرِحت في عهد الدولة السادسة على ما يرجَّح فوجد الفعلة بينها تمثالاً صغيرًا جدًّا كالاصبع وكسروا رأسهُ وهم ينقبون واتوني بيدنهِ من غير رأس فنظفتهُ من التراب ووجدت عليهِ اسم خوفو ومن ثم استسهلت كل صعب في سبيل الوصول الى رأسهِ المفقود . فسألت العمَّال واحدًا واحدًا عن المكان الذي وضعوا فيهِ التراب وحدَّدت الاماكن التي يجب ان نحصر بحثنا فيها واخذت اغربل التراب غربلة حتى لا تفوتني قطعة كراس الاصبع . وجرينا على هذا المنوال يوماً بعد يوم حتى مرَّ الاسبوع الاول والثاني والثالث · وفي آخر الاسبوع الثالث وجدنا وجههُ تامًّا لا ينقصهُ شيء وفي اليوم التالي وجدنا قفا رأسهِ فتم الرأس وتمَّ التمثال كلهُ تمثال خوفو باني الهرم الاكبر اعظم ملك قام في المسكونة

"والناظر الى هذا التمثال لا يسعهُ الاَّ ان يستدلَّ منهُ على اخلاق صاحبهِ فيرى فيهِ دلائل السيادة والحزم والنظر في العواقب مما لم يفقهُ فيهِ احد من ملوك مصر ولا من ملوك اليونان والرومان · ولا شبهة في ان ملكاً أُعطي هذه المقدرة وهذه العزيمة يستبدُّ بامرهِ ويفعل ما لا يرضي كثيرين ولكن نظرة واحدة الى وجههِ تنفي عنهُ كل فعل دنيء فلم يستعمل استبدادهُ الاَّ في ما يصلح شؤُون بلادهِ ولذلك احلَّهُ المصريون كلهم المحل الاول بين ملوكهم ولا يزال اسمهُ

منقوشاً على هيا كلهم وفي مقالع المرمر وعلى صخور جبل سينا . ومقامهُ الاسمى في الهرم الاكبر الذي بناهُ وابقى فيهِ ادق الاعمال التي عملها البشر في كل زمان ومكان

"لقد ارتاب البعض في ما قيل من ان خوفو اقفل الهياكل وابطل الذبائح ولكن خرائب هيكل ايبدوس ايَّدت ذلك فقد وجدنا فيها انقاض هيكل من عهد الدولة الاولى وفوقها انقاض هيكل آخر من عهد الدولة الثانية والثالثة وليس فوقها انقاض هيكل من عهد الدولة الرابعة وغاية ما وجدناهُ من عهدها موقد عليهِ رماد مواد نباتية وكثير من التقدمات المصنوعة من الخزف لا عظم بينها وهذا دليل قاطع على ان خوفو ابطل الذبائح الدموية وابدلها بقرابين من الخزف لا قيمة لها لحفظ ثروة البلاد من التلف وبعد ايامهِ عاد الاسراف فبنيت الهياكل وقُرّبت الذبائح وتوالى ذلك وتزايد الى آخر ايام المصريين . فثبت ماقالهُ هيرودوتس ابو التاريخ عن هذا الملك العظيم

"احتفرتُ آباراً كثيرة في تلك الانقاض الى ان عرفتُ تاريخها كلهُ من اولهِ الى آخرهِ لا من الحجارة المكتتبة لانها قليلة بل من شقف الخزف التي يحلها علماء التاريخ الآن اعظم محل ولو داسها لصوص الآثار ولم يعبأوا بها . وقد قرأتُ فيها تاريخ اربعة آلاف عام في ما لا يزيد سمكهُ على عشرين قدماً من الانقاض"

برج ايفل وخزان اصوان

تكاد شهرة برج ايفل تفوق شهرة برج بابل ومع ذلك يفكّر الفرنسويون في نزعهِ وبيع الارض القائم فيها لبناء البيوت ومد الشوارع . وهذا الفكر لا يخطر الاَّ على بال الفرنسويين الذين يتوخَّون المغالاة في كل شيء فاذا ارادوا المجد والابهة بذلوا في سبيلهما النفس والنفيس واذا ارادوا النفع المحض سبكوا التماثيل قدوراً وصكُّوا النياشين نقوداً . فهم في مقدَّمة الملكيين في عهد الملكية وفي مقدمة الجمهوريين في عهد الجمهورية

وقد استشارت حكومة باريس لجنة من كبار المهندسين في امر الرحاب الفسيحة المسماة شان ده مارس التي فيها برج ايفل وهي التي اقيم فيها اكثر المعرض الاخير والمعرض الذي قبلهُ فاشارت بتقسيمها وبيعها لبناء المنازل وقضت بنزع برج ايفل منها كما نُزع قصر الصنائع حين انشاء المعرض الاخير لكي يسهل على المارين في الشارع الكبير شارع الاليزه ان يروا واجهة الانفاليد . والغرض من ذلك مالي ويقال انهُ لا يخلو من محبَّة الجمال لان البعض يحسبون برج ايفل من الشوائب التي تشوّه منظر اجمل مدينة في الدنيا . والناس اذواق

ومشارب فما يروق بعضهم لا يروق غيرهم وهؤلاء كانوا يعترضون عليهِ من اول انشائهِ وحاولوا مراراً ان يحملوا حكومة باريس على منع اقامتهِ او تقويض اركانهِ مدَّعين ان منظرهُ قبيح يشوه وجه المدينة · وقد قال احد الكتَّاب انهُ لو سهل نقل هذا البرج الى بلاد الانكليز لنقلهُ الانكليز الى عاصمتهم حيث يبقى منفياً ابد الدهر ولكن تفكيك سبعة عشر الف طن من الحديد ونقلها من باريس الى لندن يقتضي من النفقات ما يكفي لمشتراها في لندن فبناء برج جديد فيها ايسر من نقل برج ايفل اليها

ولما شاع عزم حكومة باريس على نزع برج ايفل كان مجمع ترقية العلوم الفرنسوي ملتئماً فاجتمع فرع الطبيعيات وفرع الاحداث الجوية وقرَّر اعضاؤُها باتفاق الاصوات ان يطلبوا من اعضاء المجمع كلهِ الاعتراض على نزعهِ فاجابهم اعضاء المجمع الى ذلك باتفاق الاصوات وارسلوا نسخاً من قرارهم الى محافظ باريس والى كثير من الجمعيات العلمية · فاخذت هذه الجمعيات تبحث عن الفوائد العلمية التي يمكن ان تنال منهُ ومن شان ده مارس اذا بقي خالياً من المباني · والمظنون ان اكادمية العلوم تحذو حذوها لاسيما وان اثنين من اشهر اعضائها وهما المسيو جنسن والمسيو ماسكار دافعا عن هذا البرج لما اريد نقضهُ قبل اتمامهِ

هذا وقد ابنَّا مراراً ان علماء الطبيعة ولاسيما علماء الاحداث الجوية استخدموا برج ايفل لرصد حرارة الهواء وتغيرها بالارتفاع عن سطح الارض ولرصد ضغط الهواء واكتشاف ما فيهِ من الهباء وما اشبه من الارصاد المتيورولوجية · وفي النية استخدامهُ لتلغراف مركوني بدل الابراج التي تقام لذلك فتصل اليهِ الامواج الكهربائية من اماكن شاسعة هذا فضلاً عن فائدتهِ كمرقب في ايام الحرب واوقات الحصار لأن الواقف على رأسهِ يرى بلاداً واسعة حولهُ الى امد بعيد جداً

وسنرى ما يكون من هذه الحرب بين العلماء والمهندسين كما رأينا ما دار بينهم من الخلاف على هدم مباني انس الوجود وقت اقامة الخزان فان غلب علماء الطبيعة في باريس كما غلب علماء الآثار في اصوان بقي برج ايفل الى ان يتقوَّض من نفسهِ ببلاء حديدهِ كما بقيت مباني انس الوجود الى ان تتقوض اسسها بتعاقب الماء والجفاف عليها رغماً عمَّا بني تحتها لتقويتها · اما برج ايفل فبقاؤُهُ لا يضرُّ احداً ولا تخسر بهِ الاَّ خزانة الحكومة وخسارتها لا تزيد على ثمن ارضهِ واما هياكل انس الوجود فبقاؤُها اوجب خفض سد الخزان وتقليل ما يخزن بهِ من الماء حتى بقي منهُ نصف ما كان يمكن ان يخزن بهِ لو أُعلي حسبما قُدّر لهُ اولاً وحَرَم مليون فدان من الارض كان يمكن ان تحيا وتُروَى لو تم بناؤُهُ حسب التصميم الاول ويعيش من ريعها مليونا نفس من السكان . ولعلها اول مرة وقف العلم فيها في سبيل النفع العام

بغال الحيوان

البغل حيوان معروف متولد بين الحمار والفرس ويقرب منهُ النغل وهو حيوان متولد بين الفرس والحمار اي ان اباهُ حصان وامهُ اتان وهو قليل

والظاهر ان العرب كانوا يزعمون حصول التوالُد بين انواع اخرى من الحيوان كما تدلُّ عليهِ لغتهم فقالوا ان السِّمع ولدُ الذئب من الضبع وانهُ شديد السَّمْع يضرب بهِ المثل في ذلك فيقال هو اسمع من سِمْع ومنهُ قول الشاعر

تراهُ حديد الطرف ابلج واضحًا اغرَّ طويل الباع اسمعَ من سِمْعِ

والعسبار ولد الضبع من الذئب . والنسهر ولد الذئب من الضبع . ولا يعلم في التحقيق هل وُضعت هذه الاسماءُ لحيوانات متولدة بين نوعين مختلفين من الحيوان او لحيوانات نوعها مجهول . لكن علماءَ هذا العصر ولَّدوا حيوانات مثلها فولَّد الاستاذ اورت حيوانًا بين الفرس وحمار الوحش المخطط المعروف والزبرا سماهُ الزبرول وغرضهُ من توليدهِ ان يقوم مقام البغل في نقل ادوات الحرب لانهُ اسهل منهُ انقيادًا واكثر انتباهًا ولا يشمس مثل البغل ولا يبطئ في سيرهِ مثلهُ . ويُظنُّ الآن ان بغال المستقبل ستكون كلها متولدة من الخيل وحمار الوحش وهي اكبر من البغال العادية ويبقى فيها شيءٌ من خطوط ابيها . ومن غريب امرها انها اليفة جدًّا اشد الفةً من مهار الخيل واسهل تذليلاً من البغال حتى انها تذلَّل (تطبَّع) من غير مذلل

وولَّد بعضهم حيوانًا بين الاسد والفهد وقد رأينا صورتهُ فاذا هو كبير الراس كالاسد مخطط البدن كالفهد ولما كان عمرهُ ثلاث سنوات كان طولهِ من انفهِ الى رأس ذنبهِ عشر اقدام وارتفاعهُ الى كتفهِ اربع اقدام وابوهُ اسد من السنغال وامهُ فهدة من بنغالا فاخذ راسهُ من ابيهِ وبدنهُ من امهِ ويقدَّر ثمنهُ بالفي جنيه لا لفائدة تنال منهُ كما تنال الزبرول المتولد بين الفرس وحمار الوحش المخطط بل لعرضهِ في المعارض العمومية وجمع المال من مشاهديهِ

ويهتم علماءُ الحيوان الآن بتوليد بعد حيوانات جديدة بين الحيوانات الاهلية والبرية كما بين الغنم الاهلي والغنم البري او بين ما يوجد منها في بلاد وما يوجد في بلاد أُخرى كما بين ديك الغاب الاوربي وديك الغاب الاسيوي وبين الغزال الاوربي والغزال الفارسي والغرض من ذلك كلهِ تقوية ما ضعف في الحيوانات الاهلية بمرور الزمن وذلك بادخال دم جديد فيها

محاربة السرطان

داء السرطان من الادواء التي اعيا الاطباء كشف سببها ووصف علاج يشفي منها. وقد قرأنا في مجلة لندن الانكليزية مقالةً فيهِ لاحد كبار الجراحين فلخصناها بما يأتي

ان داء السرطان من اعسر ما اشكل على الاطباء والجراحين منذ القديم الى هذا اليوم مع انهم لم يألوا جهداً في سبيل البحث للوصول الى الدواء الشافي . على ان قصورهم عن التوصُّل الى ذلك الدواء لا يجب ان يبعث فينا القنوط واليأس لان العالم كلهُ ينتظر اليوم بفروغ صبر وبفؤَاد ملؤُهُ الآمال حلَّ هذه المشكلة الغامضة

والعقدة في كل ذلك راجعة الى جهل اسباب العلة فمتى عرف الاطباء تلك الاسباب تمام المعرفة لم يبقَ في سبيلهم ما يعوقهم عن معرفة الدواء . ولقد ادَّعى بعضهم ان الملح اعظم تلك الاسباب وبرهن على ذلك بقولهِ ان السرطان غير معروف بين القبائل المتوحشة التي قلما تأكل الملح . وان اكثر الحيوانات الاليفة التي تأكلهُ تكون هدفاً لسهامهِ بخلاف الخنازير التي لا تأكلهُ فلا تصاب بالسرطان . ويقال ايضاً ان هذا الداء يندر وجودهُ في السجون وفي المعامل حيث يقل اكل اللحم ويكثر حيث يكثر الناس من اكل اللحم المملح ولكن جميع هذه الادلة واهنة غير مقنعة وكل ما يمكننا ان نقولهُ عن اسباب السرطان هو اننا لا نعلمها حتى الآن

وانفع علاج معروف الآن لهذا الداء سكين الجراح . ولكن الجراح والمريض كليهما يعلمان حق العلم ان الجسم عرضة لعودة العلة في المستقبل . فلا يكاد عضو يتخلص منها حتى تظهر في عضو آخر . وهي تفتك بالبشر فتكاً ذريعاً فقد كانت الوفيات خمسة بالمئة من الذين يصابون بها فبلغت الآن عشرة في المئة ومات بها سنة ١٩٠١ في مدينة لندن وحدها ٤٢٥١ شخصاً وفي ذلك زيادة عن كل السنين التي سبقت ممَّا يدل على ان انتشار العلة آخذ في الازدياد. ولكن الاطباء مختلفون في امر تلك الزيادة مع ان الاحصاءات تدل على ان الوفيات بالسرطان اليوم هي ضعف ما كانت عليهِ منذ نصف قرن ويقول جمهورهم ان ذلك لا يدل على ازدياد العلة بل يرجح ان الزيادة ناتجة عن تقدم الطب تقدماً جعل التشخيص الطبي ادق ممَّا كان في القديم حينما كان كثيرٌ من الوفيات بالسرطان ينسب الى غيرهِ من العلل

اما السرطان فهو خراج من نوع الخراجات الخبيثة . واهم خواصهِ النمو المستمر اي انهُ متى ظهر فلا بد من نموهِ نموًّا لا يتوقف عند حد بخلاف الخراجات غير الخبيثة التي اذا بلغت

حداً معلوماً من النمو توقفت . ومن خواصهِ ايضاً انهُ يمتد الى كل الجهات المجاورة ولا شيء يصدهُ او يحصرهُ . فالسرطان في الشفة مثلاً يمتد الى ما يجاورها كاللثة وغيرها بخلاف الخراجات البسيطة او غير الخبيثة فان لها جداراً يحصرها في مكان واحد

ومن خواصهِ ايضاً انهُ اذا استؤصل فمن المرجح انهُ يعود ثانية في المستقبل . وانهُ اذا ظهر في مكان من البدن ظهرت خراجات اخرى من نوعهِ في اماكن اخرى وتسمى هذه الخراجات ثانوية . فالسرطان في الثدي كثيراً ما يسبب سرطاناً في الرئة او الكبد او في غيرها مما لا يظهر بينهُ وبين المكان الاول ادنى علاقة. ثم ان السرطان يتقرح ويصير في درجاتهِ الاخيرة مؤلماً جداً في الغالب . وقد يسبب تسمماً في الدم وفقداناً في قابلية الطعام الى ان ينتهي الاجل بخلاف الخراجات غير الخبيثة التي لا تتقرح الاَّ في النادر ولا تكون مميتة الاَّ اذا ظهرت في عضوٍ من الاعضاء الرئيسية اي اللازمة للحياة

قلنا آنفاً ان اسباب هذه العلة مجهولة او لا تزال في معرض الظن واقرب هذه الظنون الى الاحتمال ما يأتي

الاول ان العلة مسببة عن حيٍ من الاحياء الصغيرة التي تدخل الجسم وتنمو فيهِ . وبناء على هذا الرأي قام جمهور من الباحثين واجتهدوا في اكتشاف هذا الحي وذهب بعضهم الى انهم عثروا عليهِ ولكن ظهر بعد البحث المدقق ما ابطل دعواهم . على ان ذلك لم يثبط عزيمة غيرهم من الذين لا يزالون حتى هذا اليوم يوالون البحث والتنقيب

والرأي الثاني هو ان السرطان مسبب عن فساد في حيوية الخلايا ناتج عن تهيج محلي

والرأي الثالث هو ان هذه العلة ناتجة عن مواد تؤكل مع الطعام تؤثر في بعض الخلايا تأثيراً رديئاً فتسبب السرطان . ويقول آخرون ان اجهاد المجموع العصبي يعدُّ الجسم للسرطان ولذلك كثر عدد المصابين بهِ في هذا العصر لكثرة اجهاد القوى العصبيَّة

اما سبب عودة السرطان بعد استئصالهِ فيظن انهُ راجع الى عدم وجود كيس لهُ او حدٍ يصدُّ امتدادهُ في الجسم وان خلاياهُ او مفرزاتهِ تخترق انسجة الجسم الصحيحة وتؤثر فيها . فاذا استؤصل القسم الظاهر من الخراج بقي قسم آخر غير ظاهر . يؤيد ذلك انهُ اذا اتسعت عملية القطع حتى شملت جانباً كبيراً مما حول السرطان ترجَّح الشفاء منهُ . ثم ان الخراجات الثانوية اي التي تنمو بعد استئصال الخراج الاول مسببة على ما يظهر عن مرور بعض المواد الحاملة جراثيم العلة في الاوعية الليمفاويَّة او الدموية . ومما يستحق الملاحظة ان تركيب الخراجات الثانويَّة يماثل تركيب الخراجات الاولية كل المماثلة

لما كانت معرفتنا بالدواءِ هي على قدر معرفتنا بالداءِ فاحسن ما يمكننا ان نصفهُ لهذه العلة هو استئصالها بعملية جراحية مع انها قلما تنجح . وقد ذكرنا سبب عدم نجاحها وهو انهُ قد يبقى شيءٌ من الانسجة فيهِ جراثيم العلة او قد تكون جراثيم العلة سرت في البدن الى اماكن اخرى . مثال ذلك اننا نجد السرطان في ثدي امرأَة فنستأْصلهُ كلهُ فتشفى منهُ حسب الظاهر وتبقى سليمة سنتين او اكثر الى خمس عشرة سنة ثم يظهر السرطان في كبدها او رئتيها او دماغها وهذا السرطان مثل الاول تماماً لان هذه الاعضاء كانت مصابة بهِ وقتما نُزع الثدي المصاب ولكن لم يكن سبيل لمعرفة ذلك . ولا داء يختلف في سرعة سيرهِ وبطئهِ مثل السرطان فقد يظهر ويبلغ حدهُ في ثلاثة اشهر وقد لا يتكامل في اقل من عشرين سنة . وافضل نصيحة يُنصَح بها من يظن ان بهِ سرطاناً ان يبادر الى الجراح لينزعهُ قبلما ينتشر في بدنهِ . وهذا العلاج على قلة فائدتهِ هو انجع علاج نعلمهُ حتى الآن . وفيهِ مركزا ضعف الاوَّل ان الجرَّاح لا يعلم حينما ينزع السرطان انهُ استأْصلهُ كلهُ والثاني ان السرطان في درجاتهِ الاولى لا يكون مؤْلماً حتى يحمل المصاب بهِ على الالتجاء الى الجرَّاح لنزعهِ فتضيع افضل فرصة لاستئصالهِ . وظهور السرطان خفيٌّ وسيرهُ بطيءٌ حتى لا يشعر بهما المصاب الَّا حينما يتفاقم شرهُ . وفي كل اسبوع يأْتينا اناس فيهم سرطان ظاهر ويقولون انهُ لم يكن فيهم قبلاً مع اني متأَكد انهُ كان فيهم منذ شهور كثيرة

ومع ان الاحوال الحاضرة تكاد تضعف فينا الرجاء الَّا انها ليست باعثة على اليأْس كما قلنا سابقاً لاسيما وان اعظم الثقات يعتقدون ان المستقبل سيكشف لهذا الداء علاجاً ثابتاً افضل من سكين الجراح . وقد انقطع كثير من الاطباء لدرس هذا الموضوع والبحث فيهِ بتدقيق ولا ريب ان اتعابهم لن تذهب سدًى

واحسن الوسائل التي يستعملونها في محاربة هذا الداء هو معالجة المصاب بهِ باشعة النور وافضلها واشهرها اشعة رنتجن التي ظهرت فائدتها في شفاء مرض الآكلة الذي هو نوع من انواع السرطان . وقد عُلم ان لها ايضاً فائدةً عظيمةً في تخفيف الآلام في بعض انواع السرطان وانها تشفي احياناً الوجوه المتقرّحة وانها كثيرًا ما تقلل نمو البثور . على اننا لا يمكننا ان نجزم بتمام فائدتها الَّا في داء الآكلة . ولما كانت معرفتنا بهذه الاشعة حديثة كان لنا عظيم الامل ان تزداد تلك المعرفة فتزداد فائدتها

ثم ان السرطان قد يشفى من نفسهِ في بعض الاحيان وقد شوهد ذلك حتى في الذين كانت العلة قد تمكنت منهم وهذا يدل على ان شفاءهُ ممكن . فاذا كانت الافعال الجسدية

الطبيعية تقضي بشفاء العلة ولو نادرًا فلا يبعد اننا نتمكن من مساعدة هذه الافعال حتى يقوى فعلها ويزيد عدد الذين يشفون بها

ولا يخفى ان كثيرين اهتموا حديثًا بالبحث عن علة هذا الداء وعن دواء يشفي منهُ فاقام العلماء لجانًا مخصوصة لهذا البحث وجُمعت الاموال الطائلة لذلك . بدأت انكلترا هذا العمل واقتدت بها المانيا والولايات المتحدة . والاطباء الذين يفتشون عن علاج للسرطان ينظرون في كل علاج يُعرَض عليهم مهما كان ويمتحنونهُ وحتى الآن لم يجدوا علاجًا شافيًا. ومما يبحثون عنهُ جغرافية السرطان اي الاماكن التي يكثر انتشارهُ فيها فوجدوا انهُ اكثر في الاماكن الواطئة التي تغمرها مياه الانهر منهُ في الاماكن العالية . ومن الغريب انهُ يتردَّد على بعض البيوت فيصيب سكانها اكثر مما يصيب غيرهم . ومن المحتمل انهُ من الامراض المعدية اذ قد اصيب بهِ رجل وزوجتهُ . وكثيرون من العلماء يبحثون الآن عن اصلهِ وعن دوائهِ في انكلترا واميركا وايطاليا وفرنسا والمانيا وروسيا وكل الممالك المتمدنة يقضون الايام في البحث والتنقيب وقد لا يعودون بطائل ولكن اذا وُفِق احدهم الى كشف الدواء الشافي فيكون قد افاد ابناء نوعهِ فائدة لا تقدَّر وينظر اليهِ كاكبر منعم على نوع الانسان

القضاء والقدر وطول الاعمار

قال بعض الجهابذة حصل لي اليأس من معرفة خمس وهي سرُّ القدر والروح والزمان والمكان والجوهر الفرد. وقد رأيت اناسًا تخيلوا انهم عرفوها فوجدتهم ارباب وهم خُيِّل لهم حصول الفهم . وهي على التحقيق من المسائل الغامضة اشتدَّ فيها الجدال قديمًا وحديثًا بين الالهيين والطبيعيين وقد جوَّد الكلام على القدر استاذنا العلامة الشيخ طاهر الجزائري في شرح خُطب ابن نباتة وهو الشرح الذي ضمَّنهُ حلَّ كثير من المسائل الغامضة ومنها مسألة حدوث العالم على وجه يجمع بين العقل والنقل قال : التقدير هو تحديد كل مخلوق بحدهِ الذي يوجد عليهِ من حسن وقبح ونفع وضرّ وغير ذلك . والقدَر هو تعليق كل حال من احوال الاعيان بزمان معيَّن وسبب معيَّن . والقضاء عبارة عن الحكم الكلي الالهي في اعيان الموجودات على ما هي عليهِ من الاحوال الجارية عليها من الازل الى الابد. فالتقدير الحكم على الشيء بان يكون كذا على سبيل الوجوب او على سبيل الامكان . والقضاء الفصل في الحكم فيهِ . فكل مقضيّ مقدَّر وليس كل مقدّر مقضيًا . فالمقدر ما لم يكن مقضيًا يرجى ان يدفعهُ الله . ومعنى

كونهِ قائماً بالعدل انهُ اعطى كل شيءٍ خلقهُ ووفَّى كل ذي حق حقهُ. ثم هنا قضايا عشر طيبة النشر من حازها باسرها خرج عن غلبة الاوهام واسرها

(الاولى) ان كل كائن فهو بمشيئتهِ تعالى وتقديرهِ وخلقهِ. (الثانية) انهُ قدّر كل شيء بحسب ما اقتضتهُ الحكمة واستعداد ذلك الشيء. (الثالثة) انهُ يحب الخير ولا يحب الشر وخلق ما خلق من الشر لما تضمنهُ من الحكم والاسرار ولكونهِ تابعاً لخير اوفى منهُ في المقدار واذا قيل اما كان يمكن وجود تلك الحكم والاسرار بدون ذلك قلنا من اين نعلم ان ذلك ممكن وعدم العلم بالاستحالة غير العلم بعدم الاستحالة. وقد تقرر باتفاق العقلاء ان القدرة لا تتعلق الاَّ بالممكن وعدم تعلقها بالمستحيل كالجمع بين البياض والسواد لا يسمى عجزًا. (الرابعة) ان الخلق ان اريد بهِ المصدر فهو حسن مطلقاً وان اريد بهِ غيرهُ فمنهُ حسن ومنهُ غير حسن. (الخامسة) ان العبد غير مجبور على فعلهِ وعلم الله في الازل بما يأتي بهِ العبد لا يقتضي كونهُ مجبورًا عليهِ فان العلم بما يفعلهُ المختار لا يوجب الاضطرار ولو كان العلم بالشيء يستلزم عدم الاختيار فيهِ كان الحق تعالى غير مختار في افعالهِ لعلمهِ بها في الازل. نعم ليس الاختيار في العبد في الدرجة التي توهمها اهل الاعتزال حتى جعلوهُ في افعالهِ كانهُ ذو استقلال ولا في الدرجة التي تخيلها اهل الجبر حتى جعلوهُ ذا اضطرار في ذلك الاختيار حتى قال قائلهم

ما حيلة العبد والاقدار جارية عليهِ في كل حين ايها الرائي
القاهُ في اليمّ مكتوفاً وقال لهُ اياك اياك ان تبتلَّ بالماء

والحق التوسط بين المذهبين. وجعل اختيار العبد بين بين. وعلى ذلك يدل الكتاب والسنة. والقائلون بغيرهِ كالسارين في دجنَّة. (السادسة) ان الحق سبحانهُ حكَم عدْل لا يظلم احدًا والظلم وضع الشيء في غير موضعهِ وانهُ اعطى كل شيء خلقهُ ثم هدى. وانهُ لم يخلق شيئاً سدى. فمن وجد خيرًا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ الاَّ نفسهُ. (السابعة) انهُ سبحانهُ ذو قدرة باهرة لا يعجزهُ شيء وهو فاعل مختار وفي جميع افعالهِ حكم واسرار. (الثامنة) انهُ سبحانهُ وتعالى لا ينالهُ نفع ولا ضر وعدم محبتهِ للشر ليس على الصورة التي نتصورها في البشر. (التاسعة) انهُ سبحانهُ اوجد ما اوجد على ابدع صورة واجمل وجه. ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت. (العاشرة) انهُ يجب على العبد الرضاء بالقضاء ويفرق بين القضاء والمقضي ألا ترى ان المريض اذا سقي علاجاً مرًّا تراهُ راضياً بفعل الساقي وان لم يكن راضياً بما نشأ عن الشراب من المرارة ونحوها. بقيت مسئلة وهي ادق جميع المسائل وهي ان يقال اذا كان بعض الانواع يلزم وجودها شر وان كان قليلاً فهلاَّ بقيت في عالمها الاول. وقد اجابوا عن ذلك

بان شأن الالوهية يقتضي وجود كل نوع من الانواع الممكنة لطلبها الايجاد بلسان الاستعداد وترك خير كثير لما يتضمنهُ من شر قليل شرٌّ كبير. الا ترى ان الغيث يعدُّ نعمة كبرى وان تضمن خراب بعض المنازل. فان قيل فهل في العالم شر محض قلت هذا ينكرهُ كثير من المحققين نعم يمكن وجود شر محض بالنظر لبعض الافراد لا لمجموع العالم

ولطالما رأينا وسمعنا اناساً يعترضون على المقتطف شفاهاً او تحريرًا لظنهم انهُ قد خالف الدين في ذكر القضاء والقدر واسباب إطالة الاعمار وهما المسألتان اللتان دعتا الى خبط كثيرين وعلاقتهما بعضهما مع بعض شديدة. فمن يعتقد بالقضاء والقدر على النحو الذي يعتقدهُ الجهمية القائلون بابطال الاسباب لا يقول بطول العمر اذا استُعملت الاسباب اللازمة لذلك ومن توسط في الامر كما هو مذهب العلامة المشار اليهِ وطائفة من اهل العلم والعقل يحسِّن كل ما يرد على صفحات هذه المجلة من التدابير الصحية المشروعة المعقولة

قال الاستاذ المنوه بهِ ايضاً في طول العمر: قد استفاض في الالسنة الدعاء بطول العمر وسعة الرزق وقد وردت آثار شتى تدل على ان بعض الاعمال الحسنة سبب لبسط الرزق وطول العمر. وقد أُورد على ذلك ان العمر والرزق مقدران في الازل فكيف يتصور الزيادة فيهما واجاب بعض من تصدى للجواب بان المراد بذلك زيادة البركة واما نفس العمر والرزق المقدرين فلا يقبلان الزيادة. قال العلامة القرافي[1] في الفروق ان هذا الجواب عندي ضعيف بسبب ان البركة ايضاً من جملة المقدرات فان كان القدر مانعاً من الزيادة فليمنع من البركة في العمر والرزق كما منع من الزيادة فيهما . . .

وكذلك نقول الدعاء يزيد في العمر والرزق ويدفع الامراض ويؤخر الآجال وغير ذلك مما شرع فيهِ الدعاء فهو من القدر ولا يخل بشيءٍ عن القدر بل ما رتب الله سبحانهُ مقدورًا الَّا على سبب عادي ولو شاء لما ربطهُ بهِ اه

وبهذا يتحلَّ لك الاشكال الذي يتوهم في قولهِ تعالى (قل لا املك لنفسي نفعاً ولا ضرًّا الاَّ ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء) فان بعضهم قال

(١) شهاب الدين القرافي المتوفى بمصر عام ٦٨٤ ﻫ انتهت اليهِ رئاسة علماء المالكية في عصرهِ وكتابهُ الفروق جمع بين صحيح النقل وصريح العقل وقد احسن طابعهُ في تونس بطبعهِ على حاشيتهِ كتاب العلاَّمة ابن الشاط السبتي المتوفى سنة ٧٢٣ وهو في تعقب الفروق والنقد على صاحبهِ وحبذا لو جرت المطابع المصرية على مثل هذه الطريقة في نشر المصنفات النافعة مشفوعة بآراء العلماء فيها واسقاط التقاريظ التي ألفها المتأخرون وهي لا تنبيء بفضل مهما حوت من المدح والثناء

كيف يستكثر من الخير على تقدير الاطلاع على الغيب والذي في الغيب هو الذي قدره الله من الخير. وقد افرده العلامة المذكور بالجواب فقال ما ملخصهُ : ان الله تعالى قدّر الخير والشر في الدنيا وجعل لكل مقدور سبباً يترتب عليهِ ويرتبط بهِ. والعلم سبب عظيم لتحصيل مصالح ودرء مفاسد في الدنيا والآخرة . فالذي وضع له السم فاكلهُ فمات قد قُدِّر موتهُ بالسم مع جهلهِ فلو قدر نجاتهُ منهُ قُدّر اطلاعه عليهِ فالمقدر على تقدير الجهل نمنع انهُ مقدَّر على تقدير العلم بل المقدر على تقدير العلم ضده . والرزق المقتر انما قدر لاهلهِ على تقدير جهلهم بالكنوز وغير ذلك من اسباب الرزق اما مع علمهم بهذه الاسباب العظيمة الموجبة في مجرى العادة لسعة الرزق فلا نسلم انهُ قُدِّر لهم ضيق الرزق كما نقول ان الله قدر للمؤمنين دخول الجنة على تقدير الايمان اما مع عدمهِ فلا نسلم انهُ قدر لهم الجنة وبهذا يتضح لك ترتُّب استكثار الخير وعدم مس السوء على تقدير الاطلاع على الغيب . ثم قال وقد كثُرت لك النظائر لتستيقظ لهذه القاعدة وسرّ القضاء والقدر فيندفع السؤال وهو موضع حسن . اقول وهذا السؤال احد الاسئلة الاحدى والعشرين المسماة بالاسئلة الهندية وهي في سبعة فنون وقد جعلها السائل لرياضة الافكار . وبما ذكرناه يظهر لك معنى قولهِ تعالى (وما يُعمَّرُ من معمر ولا ينقص من عمرهِ الاَّ في كتاب) وان الزيادة والنقصان في عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبتت في اللوح مثل ان يكون فيهِ ان اطاع عمروٌ فعمره ستون والاَّ فاربعون. ونقل العلامة ابن خاتمة الاندلسي في كتاب تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد عن عمر رضي الله عنهُ انهُ قال لبيتٌ بركبة[٢] احبُّ اليَّ من عشرة ابيات بالشام. ونقل ان الامام مالكاً قال في الموطإ يريد لطول الاعمار والبقاء وشدة الوباء بالشام والله اعلم

محمد كرد علي

غنى افريقية الجنوبية

كتبنا في ما سبق فصولاً كثيرة في غنى الترنسفال الذي جرَّ عليها حربًا عوانًا سفكت فيها انهار من الدماء وانفقت بدرات الاموال ولكنها نشرت فوقها لواء العدل والحرية واثبتت فيها حسن الادارة والنظام فصارت مقصداً للذين ضاقت عليهم بلادهم او دفعهم الجور الى هجرانها فيجدون فيها مجالاً واسعاً ومنتجعاً طيباً . وقد عثرنا الآن على فصل في غنى افريقية

(٢) رُكبة بضم الراء وادٍ بالطائف بين عمرة وذات عرق وقيل ارض بني عامر بين مكة والعراق وهي ارض صحراوية سكانها اطول اعمارًا واصح ابدانًا

الجنوبية في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية كتبهُ قومندان الجيش العام في مستعمرة الراس فلخصناهُ لما فيهِ من الفوائد. قال الكاتب:

لا يعلم جمهور القراء عن غنى افريقية الجنوبية حتى الآن الاَّ قليلاً. واراني في موقف حرج. لا ادري من اي باب الج الموضوع لاصف هذه البلاد

في سنة ١٨٦٧ كشف الماس في املاك انكلترا على ضفاف نهر القال فعلمت ان في افريقية الجنوبية ما يجعلها من اغنى املاكها. ثم توالت الاكتشافات وكثرت مناجم الماس حتى لم يعد يخشى من نفادهِ بل صار يخشى من انخفاض ثمنهِ. واشهر تلك المناجم منجم جاجرسفونتين في الجنوب الغربي من مستعمرة نهر الاورنج ومنجم لاس قرب مدينة كرونستاد ومنجم البريمير قرب مدينة يوهنسبرج في الترنسفال. وكثيراً ما يعثر على الماس في الجهات الشرقية من مستعمرة نهر الاورنج مما يدل انهُ منتشر كثيراً في تلك الاراضي

وفي جوار مدينة كمبرلي مناجم دى بيرس المشهورة وقد وحَّدها المرحوم سيسل رودس وبلغت قيمة ما استخرج منها في السنين الاربع الاخيرة ١٦ مليوناً من الجنيهات. فيضاف الى الماس الذي يتحلى بهِ الناس ما ثمنهُ اكثر من اربعة ملايين من الجنيهات كل سنة وهو ليس مما يتلف بالاستعمال ومع ذلك لا يرخص ثمنهُ (ولا خوف من ان تكشف مناجم جديدة يستخرج منها ما يزيد كمية الماس فيرخص ثمنهُ لان الشركات الحاضرة تشتري تلك المناجم وتبقي المستخرج على قدر الطلب ليبقى ثمنهُ على حالهِ)

وننتقل من الماس الى الذهب. اول من عثر عليهِ في جنوبي افريقية سائح الماني يسمَّى كارل موخ وكان ذلك في سنة ١٨٦٦ في مقاطعة تسمى تاتي على حدود بلاد المتابيل فبذل السرجون سونبُرْن وغيرهُ جهدهم في استخراج الذهب من تلك الاراضي ولكنهم لم ينجحوا واضطروا اخيراً الى تركها وقد أُعيدت الكرة مراراً لاستخراج الذهب من هناك فلم تأتِ بفائدة وبعد قليل اكتشفت مناجم الذهب في الشمال الشرقي من الترنسفال لم يشرع في استخراج الذهب من مناجم ويتوترسراند الاَّ سنة ١٨٨٤ وهذه المناجم غيَّرت تاريخ افريقية الجنوبية في اقل من عشرين سنة وكانت باعثاً على بناء مدينة يوهنسبرج التي هي اكبر مدن المناجم وحاملاً لانكلترا على ضم البلاد التي بين لمبو بو ونهر الاورنج الى ممالكها ولولا ذلك لبقيت من المجاهل الى امد بعيد. ومن ثم كثر استخراج الذهب من مناجم الترنسفال حتى بلغ ما استخرج منهُ في السنة التي سبقت الحرب الاخيرة ١٦٠٤٤١٣٥ جنيهاً وكان الذهب يستخرج من حرف طولهُ اربعون ميلاً وقد ثبت الآن ان هذا الحرف يمتد ثلاثين ميلاً اخرى والذهب

موجود فيها بكثرة . واكتشفت حروف أُخرى يكثر الذهب فيها وغيرها مما فيهِ ذهب ولو كان قليلاً يُرجَع اليهِ بعد نفاد الذهب من المناجم الغنيَّة حين تسهل وسائل النقل والعمل . واكتُشف الذهب في رودسيا ايضاً ويستخرج منهُ ١٥٠٠٠ اوقية كل شهر وهي تساوي ٤٠٠٠٠ جنيه

على ان الماس والذهب يحتاجان الى الفحم الحجري لاستخراجهما . وقد كشف في الترنسفال ورودسيا مناجم للفحم غنية جدًّا ولكنها لم تستغل حتى الآن لان الخط الحديدي اللازم لاستغلالها لم ينجز بعدُ . واذا ذكر الفحم الحجري اتجه الفكر الى الحديد ففي ناتال والترنسفال ورودسيا مناجم كبيرة من الحديد ومن المرجح انهُ سيكشف غيرها ايضاً وهي تكفي لان تشغِل سكان افريقية الجنوبية اذا فرغت مناجم الماس والذهب والفحم . وحينما تتم نبوة كارنجي الذي تنبأ بقرب نفاد الحديد من انكلترا واميركا يعلم الناس قيمة مناجم الحديد في افريقية الجنوبية

ويأتي النحاس بعد الذهب والفحم والحديد وقد زاد الطلب عليهِ في هذا الزمن ولهُ مناجم في بلاد الراس يستخرج منها الآن ٢٦٠٠٠ طن في السنة ومناجم اخرى في غيرها ولكن المستخرج منها قليل وقد كُشف لهُ منجم جديد في شمالي رودسيا حيث تمد سكة الحديد التي يراد ايصالها الى القاهرة. ويقال ان النحاس كثير هناك ومعهُ مناجم من الفضة والرصاص والتوتيا والحديد

ومما يكثر في تربة افريقية الجنوبية ايضاً القصدير وكان يستخرج من سوازيلند قبل الحرب وقد اكتشفت حديثاً مناجم واسعة منهُ على مسافة ١٦ ميلاً من مدينة الراس . وكشف هناك تراب الخزف الصيني وهو كثير جدًّا يقدر بمئات الملايين من الاطنان

ويكثر معدن الرصاص الممزوج بالفضة في الترنسفال وفيها معدن الاسبستوس او حجر الفتيلة وهو كثير في بلاد الراس وكان يستخرج قبل الحرب . وكشف فيها معدن الكوبلت ولكنهُ اكثر من حاجة الناس اليهِ. وفيها رخام جيد وكان يستخرج قبل الحرب ويرسل الى انكلترا. ويقال بنوع عام ان جنوبي افريقية اغنى بلدان الدنيا في المعادن ولكن المعادن محدودة في كل بلاد ولا بدَّ من ان تنفد يوماً ما وفائدتها انها تساعد على استعمار البلاد وترقيتها الى ان يتيسَّر لاهاليها استثمار معادنها التي لا تنفد وهي الخيرات الزراعية

وربَّ قائل يقول هل تربة تلك البلاد غنيَّة تصلح للزراعة وتربية المواشي وتقوم بمن يهاجر اليها في طلب الرزق فاجيب ان البلاد الجديدة التي فيها مراعٍ واسعة لرعي الغنم والبقر لا تدعو الحال فيها الى زرع الحبوب والبقول بل يُفضَّل ان تستخدم لرعي المواشي ولكن اقتناء القدر الكبير من المواشي يقتضي رأس مال كبير جدًّا فهل يستطيع المهاجر الفقير ان يعيش في

تلك البلاد من الزراعة فاجيب نعم اذا كان صحيح الجسم قوي البنية لا يأنف من العمل لان باب الزراعة واسع امامهُ وجميع الحبوب الاوربية قابلة النمو في وادي الفال وما يجاورهُ . واول من شرع في الزراعة هنالك ڤان ربيك وكان ذلك في سنة ١٦٥٢ بايعاز من الحكومة فاخذ في زرع بعض الاثمار وغيرها ليجهز بها السفن العابرة فنجح في عملهِ واشترى من الاهالي قطعان غنم وبقر فنمت وكثرت . وقد كانت الخمر تصنع في افريقية الجنوبية قبل قدوم الهيجونوت الذين هاجروا اليها من فرنسا. ثم ان دخولهم كان سبباً لتقدم تجارتها حتى اصبحت اليوم خمور الترنسفال تعادل اجود خمور اوربا. والكنياك الذي يعمل في الكاب من اجود ما عرف. ومما يدلك على ربح تجارة الخمر ان الحكومة اشترت منذ عشرين سنة كرماً مساحتهُ ٣٣٠ فداناً بمبلغ ٥٠٠٠ جنيه وانفقت على اصلاحهِ ٢٠٠٠ جنيه ومنذ اربع سنين عُرض عليها خمسون الف جنيه ثمناً لهُ وفي العام الماضي عُرض خمسة وسبعون الف جنيه فابت ان تبيعهُ اذ هي تربح منهُ المبالغ الطائلة. ويقال انهُ بعد ثلاث سنوات يصير ربحها السنوي من خمرهِ ١٢٠٠٠ جنيه . على ان ذلك الكرم ليس من الكروم المشهورة بخصبها بل ان في البلاد من الكروم ما يربح منهُ اصحابهُ اضعاف ما تربحهُ الحكومة من ذلك الكرم ولكن كرم الحكومة بمثابة مدرسة لتخريج الشبان في فنون زراعة الكرم وعصر الخمر وتدريسهم اياها درساً عملياً . وفي الزنبورج حقلٌ ثانٍ يخص الحكومة وفيهِ نحو سبعين تلميذاً ١٤ منهم من الانكليز وجميعهم يتعلمون فنون الفلاحة والزراعة

وفي مقاطعات الكاب سهول فسيحة جداً يزرع فيها القمح . وكذلك في مستعمرة الاورنج المعروفة بالاقاليم المفتتحة اراضٍ واسعة يزرع فيها القمح بكثرة . اما الذرة فتزرع في المقاطعات الشرقية وفي شمالي الترنسفال. وفي كل هذه الاراضي يزرع الدخن المعروف عندهم "بدخن الكفرة" ويعمل منهُ نوع من البيرة يقال انها من احسن الواقيات من داء الاسكربوط وعملها مباح هناك لنفعها

وقد ابتدئ بزرع الاثمار لتصديرها الى الخارج وبيعها في داخلية البلاد واهتم سسل رودس بترغيب السكان في زراعة البساتين فاشترى بساتين كثيرة وسلمها الى اناس درسوا فنّ الزراعة في كاليفورنيا فنجحت ولكن ازدياد السكان لم يبقِ شيئاً من الاثمار لتصديرها الى الخارج . وفي تلك البلاد اراضٍ واسعة جداً تصلح لزراعة الاثمار

وقال الكاتب ان قصدهُ في ما كتبهُ هو لكي يظهر للانكليز انهم حيثما توجهوا في المستعمرات البريطانية فابواب الرزق مفتوحة امامهم وان الرزق في بلاد الترنسفال خصوصاً ايسر من الرزق في غيرها وابوابهُ اوسع لمن كان مجداً في عملهِ اميناً في معاملاتهِ صبوراً على معاناة المشاق

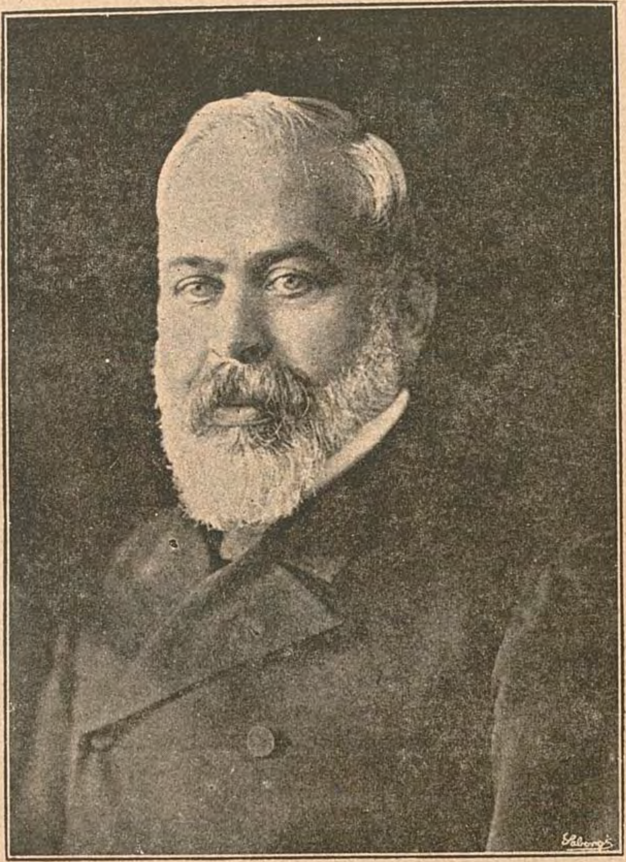

رشاد پاشا

رشاد باشا

لو لم يكن صاحب الترجمة من افاضل رجال الدولة العلية واكابر ادبائها وكتّابها لما اخذتُ القلم لاخطَّ عنهُ حرفًا واحدًا . ولكن القارئ سيرى في سيرة هذا الرجل ان بين رجال التُّرك بقيةً لو كان للدولة حظٌّ بالبقاء لأُلقت اليهم مقاليد الادارة ليصلحوا ما فسد فيها وليؤَلّفوا بين عناصر الشعوب المختلفة فيثبتوا بذلك دعائم عرش دولتهم كما كان يفعل المرحوم رشاد باشا في البلاد التي تولّى ادارتها

ولد في الاستانة العلية في ٩ سبتمبر سنة ١٨٤٣ (٣ رمضان سنة ١٢٦٠) وانتقل الى دار البقاء في ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٠٣ . وسبب تسميتهِ بهذا الاسم هو انهُ قبل ولادتهِ بيوم وُلِد الامير محمد رشاد افندي ولي عهد السلطنة واخ الحضرة السلطانية . وكانت العادة ان يخرج المنادون لينادوا باسم الامير المولود فسمّي صاحب الترجمة باسمهِ تيمُّنًا

وترعرع في حضن امهِ وتحت مراقبتها لان والدهُ واسمهُ اسكندر بك كان قد عُيِّن كاتبًا لسفارة الدولة في باريس على عهد الملك لويس فيليب . وكان رشاد مكبًّا على درس اللغة التركية والفارسية في المدارس الابتدائيَّة الى ان عين والدهُ متصرفًا على باطوم فاصطحبهُ معهُ . ولما لم يكن في تلك المقاطعة مدارس اضطرَّ ان يعلمهُ مبادئ الفرنسويَّة بنفسهِ . وكان في اثناء ذلك يدرس التركية والفارسية باجتهاد حتى بلغ السادسة عشرة . وسنة ١٨٥٩ عُيِّن عمهُ معمر باشا واليًا على ازمير فاخذهُ معهُ ووضعهُ في مدرسة افرنجية فاكبَّ على درس اللغة الفرنسوية غير مهمل التركية ولم تمر سنة ونصف حتى نجح فيها نجاحًا باهرًا

وفي شهر يونيو من سنة ١٨٦٠ اتى فؤاد باشا معتمدًا عاليًا الى سورية لاصلاح شؤُونها وشؤُون لبنان على اثر مذابحهما الفظيعة فاستدعى معمر باشا من ازمير وعينهُ مشيرًا للشام لاعتقادهِ حسن درايتهِ . فاضطرَّ رشاد ان يترك المدرسة ليرافق عمهُ . واذا كان فؤاد باشا يعتقد في اسكندر بك الاستقامة والبعد عن التعصُّب استدعاهُ الى سورية وعينهُ رئيسًا للجنة فحص المسلوبات والتحري عن السالبين فقام بمهمتهِ بصدقٍ وامانة فعينهُ متصرفًا على حماه ثم نُقل الى اللاذقية فصحبهُ ابنهُ رشاد وهو في الثامنة عشرة من عمرهِ . وبقي مواظبًا على دروسهِ الفرنسوية والتركية وكان يقوم بمهام المتصرفية خير قيام حين يذهب والدهُ لتفقد احوال متصرفيتهِ في جبال النصيرية . فاكتسب محبة الجميع بلطفهِ وحسن درايتهِ وعظم في عيون الاهالي ولاسيما في عيون القناصل . وسنة ١٨٦٣ سافر الى الاستانة ودخل في قلم الترجمة

بنظارة الخارجية وواظب على العمل بهمة ونشاط · وكان عارفي باشا ترجمانًا لباب همايون فكان يأتمنهُ على اهم الاوراق ويستدعيهِ الى منزلهِ مع بعض رفقائهِ ليترجموا و يبيضوا بعض المنشورات الاجنبيَّة. وبعد نحو سنتين انتُخب ترجمانًا لمجلس الوالي الذي تشكل في الباب العالي وتعرَّف بضيا باشا وكمال بك الكاتبين الشهيرين و بعطوفتلونوري بك المعروف باخي الحضرة السلطانية في الرضاع فشكلوا جمعية سرية سموها "تركيا الفتاة" وانضمَّ اليها عدد من الشبان الاذكياء. وكان البرنس مصطفى فاضل باشا المصري قد هرب الى اوربا لامور ذات شأن حدثت بينهُ وبين السلطان عبد العزيز والصدر الاعظم عالي باشا واذ كان يحتاج الى كتبة متفننين استدعى نخبة اعضاء تركيا الفتاة الى باريز ومن جملتهم صاحب الترجمة فاقام في باريز ولندن ينشر مع اصحابهِ جريدة "حرّيت" وظهرت اول نسخة منها ممضاة باسمهِ وكان لها شأن عظيم في ذلك العهد. وبقي في باريز الى ما بعد الحرب السبعينيَّة واحتمل مع صديقهِ نوري بك الضيق والجوع في حصارها فكانا يشتريان الدجاجة بعشرين فرنكًا وكسَّرا خشب البيانو ليطبخا الطعام ودُعي لحمل السلاح مع الغارد ناسيونال لمحاربة الالمان

وبعد ذلك صدر عفوٌ شاهاني عن جميع المهاجرين السياسيين فرجع رشاد الى الاستانة بعد ان درس الحقوق وانشأ جريدة دعاها "عبرت" وكان ذلك في عهد صدارة محمودنديم باشا. فاستدعى هذا رشادًا واصحابهُ وخاطبهم قائلاً "عليكم ان تقبلوا احد ثلاثة امور اعرضها عليكم. فاما ان ترجعوا الى اوربا لاني لست عالي باشا لاخاف كتاباتكم. واما ان تقبلوا النفي الى بلاد بعيدة. واما ان تقبلوا بلا تردُّد الخدمات التي تعرضها الحكومة عليكم" فاجابهُ رشاد "ولِمَ لا تطلقون لنا حريتنا فنعيش من اقلامنا" فاجابهُ الصدر الاعظم "انك لاتخلو من القحة وانا لا اسمح لكم ان تخطُّوا هنا حرفًا واحدًا". وفي اليوم التالي استدعاهُ اليهِ وعيّنهُ قائمقامًا لقضاء بلاجيك ورفع راتبهُ من النفي غرش الى ثلاثة آلاف وخمس مئة وقال لهُ ان هذا المركز وان يكن صغيرًا الّا انهُ موافق لحداثة سنك وهو اداري وسوف يوصلك يومًا ما الى هذا المسند (قال هذا مشيرًا بيدهِ الى كرسي الصدارة). فبقي يتقلب في الوظائف من القائمقاميات الى المتصرفيات كمتصرفية جبل بركات وقوظان (بولاية ادنه) واماسيا وصمصون (بولاية سيواس) حتى اواخر سنة ١٨٨٥ لما ارتقى كامل باشا الى مسند الصدارة وكان بينهما معرفة من قبل فلما ذهب رشاد باشا ليهنئهُ التفت اليهِ الصدر وقال على مسمع من الحضور "يا حضرة الباشا ان عندنا قحطًا في الرجال والذين نظيركم من الزم الرجال لنا". ومنذ ذلك الحين اخذ كامل باشا يسعى بكل واسطة ليرقيهُ الى رتبة والٍ ثم الى

وزارة الداخلية او الخارجية . ولكن عناصر المابين كانت تحبط مساعيهُ لان الجميع كانوا يعلمون ان رشاد باشا لا يملك مالاً ولا عقاراً حتى وان امتلكت يدهُ شيئاً فهو لا يشتري الوظائف شراء. وذات يوم استدعاهُ كامل باشا وقال لهُ "انت تعلم حق العلم اني اشد الناس رغبةً في ترقيتك ولكن الموانع قد حالت دون ذلك فاطلب اليك ان لا ترفض ما قد دبَّرتهُ لك وذلك وظيفة قوميسير عالٍ في بلغاريا براتب ١٥٠ ليرة في الشهر غير نفقات الانتقال والاستقبال . وسيعيَّن لخدمتك قطارٌ بخاري يأتي بك الينا كلما مسَّت الحاجة لمخابرتنا في المهام واذا قبلت هذه الوظيفة فانك تخدم السلطان والدولة وتكون الوظيفة افضل واسطة ترفعك الى ما تشتهيهِ (يعني بذلك وزارة الخارجية) فقبل رشاد باشا تلك الوظيفة والحَّ عليهِ الصدر الاعظم ان يستعد للسفر عند اول اشارة . ولكن المابين لم يصادق على تعيينهِ

ولما رأى كامل باشا ان مساعيهُ تقاوَم مع انهُ يريد ان ينفخ في جسم المملكة روحاً جديدة ورأى ان الدولة في حاجة الى رجال ذوي عزم ودراية عاد فاستدعى رشاد باشا اليهِ في اواسط سنة ١٨٨٦ وعرض عليهِ متصرفية سرفيجه . وهي متصرفية مستقلة ومخابراتها مع الباب العالي رأساً . وموقعها في مكدونية على حدود تساليا اليونانية وسالونيك ومناستير ومعظم سكانها من اليونان الروم وفيها جمهور من المسلمين وعدد قليل من الفلاخ وعدد لا يذكر من البلغار . وقال لهُ الصدر الاعظم يومئذٍ ان هذه المتصرفية في مقام ولاية نظراً الى استقلالها وهي غاية في الاهمية لوقوعها على الحدود اليونانية فبقبولك هذه الوظيفة تخدم مصالح وطنك لان المتصرفية محتاجة الى درايتك ولاسيما في الوقت الحاضر فان لنا جيشاً جراراً على الحدود تحت قيادة المشير احمد ايوب باشا وقد حصل بيننا وبين اليونان بعض مناوشات ولكن الاحقاد تكاد تزول ومتى وصلت رأيت السبل ممهدة والامور رجعت الى مجراها الاول . فقبل رشاد باشا متصرفية سرفيجه وصدرت لهُ الارادة بفرمان طويل كفرمان الولاة فذهب الى مركز مأموريتهِ وبعد وصولهِ بايام قليلة اخذ يجول في مراكز البلاد ليختبر بنفسهِ احوالها وحاجات اهلها واميالهم فنشر الوية العدل وساعد الضعفاء وانصف المظلومين وضرب على ايدي الظالمين حتى طار صيتهُ واجتذب قلوب الجميع اذ لم يميز بين المذاهب والعناصر . وكانت القلوب لا تزال نافرة من حكم الاتراك والجرائد اليونانية ومكاتبوها يسلقون الحكام العثمانيين بالسنةٍ حداد ولكن عدالة رشاد باشا جعلت تلك الجرائد ومكاتبيها يغيّرون لهجتهم حتى صاروا ينشرون كل ثناء عليهِ مذيعين فضلهُ وعدلهُ وعزمهُ الامور التي لم يروا مثلها في الايام الماضية

وقد كنت ايامئذٍ في تلك البلاد فاستطلعت آراء رؤساء الاساقفة وهم اصحاب الكلمة

والقول الفصل فقالوا لي "لو كنا نتأكد ان الحكومة ترسل الينا حكاماً عادلين كرشاد باشا او انها تبقيهِ هنا حتى يثبّت دعائم العدل ويترك للخلف مثالاً ينسج عليهِ لما رأيت احداً من الاهالي يميل الى دولة اجنبية ايًّا كانت". وهذه افضل شهادة لهُ

وفي اواخر سنة ١٨٨٨ عُيِّن متصرفاً مستقلاً للقدس فاتى فيها اعمالاً مشكورة وارضى بحسن سياستهِ جميع الطوائف والبطاركة والقناصل فانهالت عليهِ النياشين من الدول فانعمت عليهِ الحضرة الشاهانية بالمجيدي الاول ومنحتهُ المانيا نشان التاج البروسي غران قوردون وقلدتهُ فرنسا نشان اللجيون دونور من رتبة قومندور. ومنحتهُ روسيا نشان سان ستانيسلاس واقتدت بهنَّ ايطاليا واليونان

وكان عالي الهمَّة ذا مروءة نادرة المثال شاعرًا اديباً وكاتباً بليغاً مغرماً بمطالعة التاريخ والمؤلفات البليغة وقد جمع في مكتبتهِ افضل كتب الفرنسويين وبعض كتب العرب والترك. وترجم جزءًا كبيرًا من ڤولتاي ولكنهُ لم يطبعهُ. ومن اغرب صفاتهِ ان كل من رآهُ احبهُ وتوسم فيهِ الخير. وكان ربعةً ابيض الوجه ذا عينين زرقاوين وراس كبير. صنع لنفسهِ تمثالاً في باريس من شاهدهُ ظنهُ تمثال الملك ادورد السابع لشدة المشابهة بينهما

وهنا اذكر بعض ما جرى لهُ مع سمو البرنس هنري اخي جلالة امبراطور المانيا وسمو البرنسس زوجتهِ لما زارا القدس لاظهر للقارىء ما كان عليهِ من انقاد الذهن وسرعة الخاطر والقوة في اجتذاب القلوب بحسن بيانهِ ولطيف حديثهِ. فانهُ لما اتى البرنس المذكور مع زوجتهِ قصد السياحة في بلاد الشام على صورة غير رسمية اراد جلالة السلطان ان يجعل زيارتهما ذات رونق رسمي فارسل يأمر رشاد باشا ان يذهب الى يافا ليستقبلهما ويلتمس منهما ان يكونا ضيفي الحكومة. فذهب وعرض على سموها ما أُمر بهِ. فاعتذر اليهِ البرنس بقولهِ لقد وضعت خطةً لسياحتي واريد ان تكون خالية من الابهة والرسميات ويعزُّ عليَّ اني لا اتمكن من قبول دعوة جلالة السلطان. فاجابهُ رشاد باشا على الفور "مولاي ان لسموكم الامر على كل حال ولكني اخشي عدم رضى جلالة مولاي السلطان عني فيظن بي عدم الاهلية لهذه المهمة التي عهد بها اليَّ". فتبسَّم البرنس وقال لهُ "يا حضرة الباشا لا يسعني والحالة هذه إلاَّ ان اقبل دعوتك واكون ضيفاً على جلالة السلطان"

ثم جاءَا القدس وكان رشاد باشا قد اعدَّ كل لوازم الضيافة متفنناً في اتقانها واكثر من الشمبانيا لان البرنس لا يشرب الماء واذ كان هو وسمو البرنس يحسنان الرماية ولهما ولع شديد بالصيد كانا يجلسان بعد تناول العشاء مع البرنسس ويتبادلان الحديث عن الصيد وعما اصطادهُ

كلٌ منهما في ماضي ايامهِ . فذكر البرنس انهُ اصطاد مرة ثعلباً احمر . وفي الليلة التالية قال رشاد باشا انني اصطدت مرة ثعلباً ازرق. فضحكت البرنسس حتى استلقت على كرسيها وقالت "وهل يكون الثعلب ازرق" ؟ فاجابها " انهُ لم يكن ازرق تماماً يا مولاتي ولكنهُ كان مائلاً الى الازرقاق" . فعادت الى الضحك مسرورة من حسن تخلصهِ. فقال لها ثانية "ولِمَ لم تستغربي يا مولاتي الثعلب الاحمر الذي اصطادهُ سمو البرنس فارجو من سموك ان تفسحي لثعلبي الازرق مجالاً يمرُّ بهِ كما مرَّ ثعلب سمو البرنس الاحمر وواحدة بواحدة" فضحك الجميع مسرورين

وحدث بين بطركخانتي الروم واللاتين مشاكل اقامت بطريركيهما وقنصل روسيا وفرنسا واقعدتهم فازال تلك المشاكل على احسن اسلوب ولم يدعها تصل الى الباب العالي او الى السفارتين . وساعد الاسرائيليين كثيراً اذ كانوا مضطهدين حتى انهُ لما زار المسيو ادمون ده روتشيلد القدس وعلم بما اجراهُ شكر لهُ وعاد الى بلادهِ فرحاً مسروراً

ولو اردت ذكر كل مناقبهِ وتعداد اياديهِ على الذين رآهم او عرفهم ما كفاني جزءٌ كامل من المقتطف ولكنني اكتفي بذكر حادثة واحدة وهي انني رأيتهُ ذات يوم في سنة ١٨٩٢ ذاهباً الى البنك العثماني وعلى وجههِ لوائح الاهتمام فسألتهُ عن السبب فقال ان صديقي فلاناً في حاجة شديدة الى المال وانا ذاهب لارهن بيتي وامدّهُ بالمال

وقد ترك نجلين وهما عطوفتلو علي فروخ بك القوميسير السلطاني في بلغاريا وهو من ابرع الكتبة العثمانيين وابلغ شعرائهم ومن المقربين وقد عيّن سفيراً للدولة العلية في الولايات المتحدة قبل ان تجاوز الثلاثين . والثاني شقيقهُ محمود بك السكرتير الاول للسفارة العثمانية في مدريد وهو شاب على غاية اللطف ودماثة الاخلاق وقد تخرَّج في احسن مدارس باريس. ولهما والدة وشقيقة وهما من فضليات السيدات عزاهم الله جميعاً واعطاهم الصبر الجميل

كليانتس فيليبذس

المدفع الكهربائي

اخترع الاستاذ بركلند النروجي مدفعاً كهربائيًا مغنطيسيًا . وهو مؤَلف من سلك كهربائي لولبي الشكل موضوع داخل انبوبة تنجذب الى داخلهِ القنبلة بقوة مغنطيسية كهربائية ثم تقف في منتصف السلك حيث يعاق المجرى الكهربائي الجاذب ويبقى المجرى الدافع . فتستمر القنبلة على سيرها الى ان تخرج من فوهة الانبوب بعزم شديد اذا كانت قوة المجرى الكهربائي شديدة

الارتقاء الفكري في تركيا

من كتاب واقعة السلطان عبد العزيز لمؤلفهِ احمد صائب بك

لا يخفى على كلّ من طالع اسفار التاريخ العثماني ان الواقعة الخيرية (اي انقراض الانكشارية) كانت اعظم فاعل في احوال الدولة العثمانية. ولو درسناها بالتدقيق لرأيناها اقوى عامل على تنظيم المعيشة العمومية وتنوير اذهان قسم من الاهالي ووضع اساس العلوم والآداب العثمانية. فانهُ بعد حدوث هذه الواقعة قام فينا من الرجال والوزراء من كانوا يقدرون مراكزهم حق قدرها و يقومون بواجباتهم خيرَ قيام ولهم من الخبرة في احوال الدولة والاطلاع على الآداب العصرية ما كان يكفي لحاجاتنا. وكذلك قام فينا من الشعراء والكتَّاب من بلغوا اعلى درجة من آداب الغرب والشرق وتفننوا في اساليب الكتابة وتعلموا الفنون الحديثة ولكنَّ الترقي الادبي عندنا كان يسير سيرًا بطيئًا بالنسبة الى اليابان مثلاً والسبب في ذلك ميل اهل السيادة منا منذ القديم الى الشرّ اكثر من الخير وعدم مبالاة اصحاب المناصب العليا بهذا الامر او عدم قدرهم اياهُ حق قدرهِ. زِدْ على ذلك تمسك الاهالي باذيال القديم ونفورهم من كل ما هو جديد. ولكنَّ روح الآداب لم تلبث ان سرتْ بين الافراد بالرَّغم عن الموانع والصعوبات الكثيرة التي كانت تعترض في سبيلها. فان الآداب القديمة كانت عبارة عن التعاليم الدينيَّة وقسم من اصول الانشاء ولم تكن طريقة التعليم التي وضعت منذ عهد العباسيين كافيةً لتوسيع الاذهان اذ ان الطالب كان يحصر همهُ في مطالعة المؤلفات المخطوطة ولا يلتفت الى العلوم الحديثة او بالحري الى الآداب الغربية حتى ان المطبعة التي أُنشئت في الاستانة سنة ١١٣١ هجرية لم تدم كثيرًا لرغبة علمائنا عنها ونفورهم من الاختراعات الحديثة وهكذا لم يهتم اولياءُ الامور منا بما عليهِ يتوقف توسيع المعارف ونشرها

ولكن بعد الواقعة الخيرية شرع اصحاب الحمية الوطنية في نشر العلوم على قدر الامكان فأُنشئت سنة ١٢٤٢ هجرية مدرسة الطبّ العسكري وأُصلحت مدرسة الطوبجية التي أُسست في عهد السلطان سليم الثالث وانشئت المدرسة الحربية في بداءة ملك السلطان عبد المجيد وعقبها انشاءُ المدرسة البحرية وفي اواخر ملكهِ انشئت مدرسة المعادن. وعدا عن هذه المدارس العليا انشئت مدارس اعدادية ورشدية في عدة اماكن مهمة فسدَّت بعض حاجاتنا العلمية والمدارس التي أُنشئت على عهد السلطان عبد العزيز لم تكن اقلَّ فائدة من المدارس التي انشئت على عهد عبد المجيد فمن تلك المدارس مدرسة الفنون الملكية التي أُسست بهمة محمد باشا القبرصلي

والمدرسة السلطانية التي انشئت بهمة سفير فرنسا الذي كان نافذَ الكلمة في ذلك الحين وهي احسن مدارس الاستانة وقد خرج منها تلامذة خدموا الوطن خدمات تذكر فتشكر ولغة التدريس فيها الفرنسوية وكانت هذه لغة مدرسة الطب العسكري ايضاً ولكنها الغيت وابدلت بالتركية . وفي تلك الايام ايضاً انشئت مدرسة الطب الملكية وهي مستقلة عن الاولى . وكانت الهمة مصروفة الى انشاء المدارس الاعدادية والرشدية التي هي اغزرُ فوائد من المدارس العليا لنشرها المعارف بين ابناء الطبقة العامة . وازداد شوق الاهالي الى المطبوعات التي لا تقلّ عن المدارس في تنوير الاذهان وتوسيع دائرة العقول فأنشأ الكسندر بلاك الفرنسوي سنة ١٢٤١ هجرية جريدة في ازمير كانت تصدر باللغة الفرنسوية وكان قد انشئ قبلها جريدة على عهد السلطان سليم الثالث في سفارة فرنسا في الاستانة ولكن مواضيعها لم تخرج عن حدّ اخبار انتصار الفرنسويين في محارباتهم واذ لم يكن لها ايرادٌ يكفي للقيام بادارتها ابطلت . واجتهد الكثيرون في انشاء المطابع فاخفق سعيهم ولم تدم جريدة مدة طويلة الّا الجريدة التي كانت تصدر في ازمير وكان اسمها في الاول (Spectateur de l'Orient) اي ناظر الشرق ولكن أُبدل بعدئذٍ "برائد ازمير" (Courrier de Smyrne) . وكانت تنشر الاخبار الصحيحة وتبحث في المواضيع الموافقة لروح العصر وتنقل اخبار الثورة اليونانية من ميادين الحرب بسرعةٍ عجيبة فذاع صيتها حتى في نفس اوربا . وفي سنة ١٢٤٦ هجرية دعا السلطان محمود صاحبها الى الاستانة واحسن اليهِ وامدَّهُ بمالٍ ليصدر جريدة هناك باسم (Moniteur Ottoman.) (الرقيب العثماني) وبعد سنة امر باصدار جريدةٍ اخرى تركية في الاستانة تسمَّى "تقويم الوقائع" وجعلها تحت ادارة محرر "الرَّقيب العثماني" فكانت تنشر اوامر الحكومة الرسمية وترفض المقالات الاخرى بخلاف جريدة الرقيب العثماني التي كانت تنشر مقالات وابحاثاً شتّى عن الاحوال الداخلية والخارجية حتى عدّتها اوربا لسان حال الباب العالي . ودامت هاتان الجريدتان على هذا المنوال عدة سنوات . وفي سنة ١١٥٩ هجرية أُنشئت في الاستانة جريدة اخرى تدعى "جريدة الحوادث" وكانت تنشر حوادث خصوصية واخباراً رسمية ووقائع متنوّعة فراجت رواجاً باهراً في زمن قليل وُعدّت من الجرائد الرسمية للحكومة . ثم أُنشئ في الاستانة وفي غيرها جرائد غير رسمية فكثرت الصحف حتى بلغ عددها في اواخر سلطنة عبد المجيد واوائل سلطنة عبد العزيز ما ينيف على الثلاثين . وكان بينها اربع مجلات فنية بين شهرية ونصف شهرية واسبوعية . وهذا ممّا يدل على ان الرغبة في بثّ المعارف كانت تزداد يوماً فيوماً عند العثمانيين حتى ان بعض رجال الدولة من ملكيين وعسكريين

بذلوا جهدهم في اواخر ملك السلطان عبد العزيز في تعميم العلوم والمعارف بين ابناء وطنهم ليذوقوا ما ذاقوا هم من حلاوة العلوم

ولكن الحكومة لم تبقَ على ما كانت عليهِ بعد الواقعة الخيرية فان تقليد المأمورين العثمانيين للاجانب في لباسهم تعدى الى كبار الموظفين الذين اصبحوا يقلدونهم ايضاً وهم لا يعرفون كيف يخدمون الوطن او كيف يسعون في اعلاء شأنهِ. على انهُ وُجد بينهم من كانوا يعرفون قيمة الاصلاح في الدولة والانتظام في دوائر الحكومة كما عرفوا منبع الثورات في داخل البلاد العثمانية بدليل ما ورد في آثارهم ومؤلفاتهم العلمية والادبية . ومنذ عهد السلطان عبد المجيد كثرت المطبوعات وازدادت وكان اكثرها خاصًّا بامور المسلمين ولكن وجد بينها ما كان معرّباً عن اشهر المؤلفات الغربية . وفي هذه الاثناء ظهرت مؤلفات في غاية الاهمية من اقلام بعض مشاهير الكتّاب العثمانيين كاحمد وفيق باشا وجودت باشا ومن شاكلهم من الكتّاب الذين جمعوا بين الآداب الشرقية والعلوم الحديثة الغربية ووضعوا اصول الانشاء والبلاغة واحيوا الآداب التركية وشجعوا الادباء على السّير في كتاباتهم على ما يوافق روح الزمان والمكان وحرّضوهم على متابعة الآداب العصرية الحديثة .فوقع هذا التغيير لدى الكتبة العثمانيين موقع القبول واجتهدوا في تعميم فوائدهِ لتنوير اذهان الاهالي ولكنهُ لم يلبث طويلاً حتى سقط عن اول درجة عند صعودهِ سلّم الترقي بسبب ما وضعت لهُ يد الظلم من العقبات في سبيلهِ وما تضعهُ الى يومنا هذا . فقد كانت مطبوعاتنا في بادىء الامر حرّةً بلا قيد ولا قانون معيّن وكان كلٌّ حرًّا في انشاء اي جريدة او مطبعة شاء . ولكنهُ لما ازدادت الجرائد صارت تنشر الاخبار المحلية والمقالات المختصة بالامور الداخلية وتنتقد احياناً افعال الموظفين في اكبر وظائف الدولة مما امتعض لهُ اولياء الامور واستاؤُا فاكتسبت تلك الجرائد عداوتهم فعملوا على ايقاف مطبوعاتها عند حدها ونزع حرّيتها اذ كانت على زعمهم تضرّ بالصالح العام فوضعوا سنة ١٢٨٢ هجرية اول قانون للجرائد في البلاد العثمانية وابتدأوا في تطبيقهِ بكل شدة وصرامة. وهذا النظام يقضي على كل من اراد اصدار جريدة بأخذ رخصة رسمية من الحكومة لكي تلجمها ولا تدعها تتكلم كما تشاء وتضعها تحت مراقبتها الدائمية. وعليهِ أُنشىء من ذلك الحين قلمٌ خاص لمراقبة المطبوعات الداخلية في الباب العالي ولا يزال الى يومنا هذا يصب كاس الغضب والنقمة على كل من خالف ذلك النظام من اصحاب الجرائد . ولو دققنا النظر في هذا القانون لرأيناهُ منافياً لمنافع الحكومة والاهالي معاً ومجحفاً بحقوقهم اشد اجحاف وذلك

اولاً لانهُ لم يكن الآَّ نتيجة خوف الحكومة من انتقاد الجرائد اعمالها وهو عيبٌ يحطّ من قدرها ويدل على قلة ثقتها بنفسها

وثانياً ان الحكومة اظهرت بهذه الواسطة اشتراكها في ما يحدث في داخل البلاد من الامور المباينة للعدل والانصاف اذ سدت في وجه الجرائد منافذ الانتقاد وحرمت عليها ولوج باب الصدق في نشر ما يقع من الحوادث داخل الممالك العثمانية وهكذا هدمت ركن ما بني من قصور آمال لاجل الاصلاح

ثالثاً ان هذا النظام زرع بزور الخصومة والعداوة الشديدة في قلوب اصحاب الحمية الوطنية والغيرة الملية من رجال الدولة ووكلائها وقد ظهرت هذه النتيجة بعد بضع سنوات من وضع هذا النظام اذ تأسست جمعية الاحرار العثمانيين في اواسط ملك السلطان عبد العزيز. واول مؤسس لهذا الحزب اي حزب تركيا الفتاة مصطفى فاضل باشا المصري احد اعضاء عائلة محمد علي باشا الكبير. وكان قد تربى تربية حسنة وتلقى مبادئ العلوم والفنون الحديثة وعندهُ ثروة طائلة كاكثر افراد عائلتهِ ولكنهُ لم يتفق مع اسمعيل باشا بعد ان تبوأ الاريكة الخديوية فذهب الى الاستانة ودخل في عداد الوكلاء ولم يقم هناك طويلاً لعدم اتفاقهِ مع الوزراء المقتدرين كعالي باشا وفؤاد باشا فترك الاستانة وذهب الى باريز لينشر ما لديهِ من الاعتراضات على نظام الدولة في ادارة المملكة وليميط اللثام عن تلك المعايب وهو في تربة الحرية ولم يلبث ان انضمَّ اليهِ اصحاب الاقلام الذين نفروا من ادارة عالي باشا فاصدروا عدة جرائد باللغة التركية وكتبوا فيها مقالات شديدة اللهجة على مساويء الدولة في ذلك الحين وانتقدوا اعمال فؤاد باشا وعالي باشا الشخصية كعدم توزيع المبالغ التي جمعت لتفرَّق على المنكوبين بحريق الاستانة الكبير وضياع حقوق الدولة في تسليم القلاع العثمانية التي أُقيمت في بلاد الصرب. واخذ الاموال الباهظة من الخزينة لتسكين حادثة الشام. والتساهل في اخماد ثورة كريد. وسوء استعمال الاموال الطائلة المقروضة. وما شاكل ذلك

هكذا ظهرت جمعية الاحرار لاول مرة في البلاد العثمانية ولم تظهر الاَّ بعد ان عيل صبر هؤلاء الرجال واحتملوا ما لا يطاق من الاهوال فاجتمعوا في باريز وارسلوا من هنالك نور الحرية على البلاد العثمانية وهاجوا الافكار العمومية فأقبل الاهالي على منشوراتهم حتى بيعت في الاستانة نسخةٌ من جريدة "حريت" التي طبعت في باريز ودخلت البلاد العثمانية سرًّا بليرة عثمانية. ولكن هؤلاء الاحرار لم يبقوا كثيرًا حتى عاد اكثرهم الى اوطانهم بعد وفاة عالي باشا اذ شملهم العفو الشاهاني وكانت الدولة ترقبهم من طرف خفيّ على الدوام ولكنهم شكلوا فرقة الاصلاح فصارت

الحكومة تهتمُّ بكل ما يقولونهُ وتعيرهُ اذنًا مصغية فازدادت شهرتهم وعدوا في مقدمة الاحرار العثمانيين سواءٌ كانوا من الذين عادوا الى الاستانة او من الذين لم يغادروا اوطانهم . وكان ضيا باشا اشعر شعراء العثمانيين يشغل مركزًا ممتازًا بين افراد هذا الحزب فحثَّ على تعلم النظم والنثر واجتهد في اعلاء شأن الوطن كثيرًا فخلد في قلوب الامة اسمًا يذكر فيشكر . وكان نامق كمال بك اشهر رؤساء هذه الجمعية وهو رجل شريف العواطف والاميال رزين العقل متوقد القريحة محبٌّ لوطنهِ مشغوف بترقيتهِ يكرهُ الرياء والمداهنة ويحب الحق والحرية وهو من الرجال الذين تندر امثالهم ولكن المامهُ بالسياسة كان سطحيًا . فاتحد مع شناسي احد ادباء الترك المشهورين وعملا يدًا واحدةً على استئصال شأفة الانشاء القديم وغرسا مكانهُ بزورًا جديدة فانعشا الآداب التركية وحركا عواطف الامة باشعارهما حتى استحق نامق كمال بك ان يلقب باستاذ ارباب الفكر والقلم العثمانيين . وصاهر مصطفى فاضل باشا وكان يكتب في جريدة "حرّيت" ونُفي مرارًا بعد عودتهِ الى الوطن لانهُ كان لا يفتأُ يظهر حميتهُ واخلاصهُ حتى داخل الممالك العثمانية . وكان في هذه الفترة مديرًا لادارة جريدة "عبرت" التركية التي كانت تصدر في الاستانة

وثاني مشاهير الاحرار كان علي سعاوي افندي . فهذا بعد ان درس الفقهَ في الاستانة قصد باريز واقام فيها عدة سنوات تعلَّم في خلالها اللغة الفرنسوية واطّلع على الآداب الاوربية ووقف على احوال السياسة العمومية ثم ذهب الى لندن ونشر كتبًا تختص بالاسلام والعثمانيين واصدر جريدة باللغة التركية اسمها "مخبر" وهو آخر من رجع الى الاستانة من الاحرار فكان يخطب في الجوامع والمحافل الخصوصية ويسعى في تنوير عقول الاهالي وترغيبهم في العلوم وليس من ينكر محبتهُ لملتهِ ووطنهِ وشغفهُ الزائد بهما حتى ذهب ضحية الوطن كما هو معلوم عند الجميع

وكان احمد مدحت افندي المقيم اليوم بالاستانة من الاحرار الذين كانت تحوم حولهم الابصار . ولا ينكر احد خدماتهِ للمطبوعات العثمانية واجتهادهُ في تدريب الاهالي على الانشاء والمطالعة ولا نبالغ اذا قلنا انهُ اكثر ترجمة وتأليفًا من اسلافهِ . ولقد طالع كتاباتهِ اكثر الناشئة الجديدة من الكتّاب الذين كثر ولله الحمد عددهم وتلقى عنهُ الكثيرون صناعة الانشاء ولكنهُ مع ذلك كلهِ كان متقلقلاً في جميع اعمالهِ غير ثبت في اشغالهِ وهو نفسهُ لا ينكر هذه النقيصة

ومن اولئك الاحرار الذين لا يزالون احياء يرزقون ابو الضيا توفيق بك وليس من ينكر فضلهُ ايضًا على المطبوعات العثمانية وشهرتهُ واسعة كما لا يخفى

هؤلاء هم احرار ذلك العهد ولكن كان ايضًا بين الضباط المتخرجين من المدارس من

كلفة كاملة من كلف الشمس

(١) الشمس والكلفة فيها كما رأيناها بنظارة صغيرة في ١١ نوفمبر
(٢) هذه الكلفة كما رأيناها بنظارة المرصد الخديوي

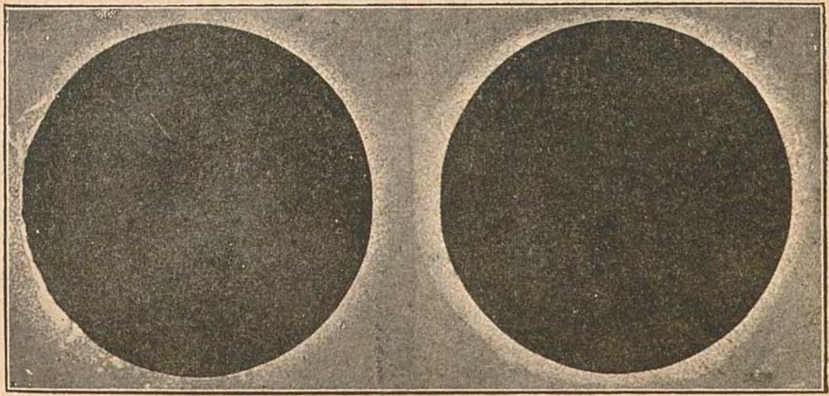

النتوات حول الشمس كما رئيت في كسوف سنة ١٨٦٠

كانوا يعدون من حزبهم وكثيرون من تلامذة المدارس العالية حتى الاعدادية كانوا يعضدون هذا الحزب بكل قواهم ويميلون اليهِ ميل الرجال الى غادة حسناء وكلهم كانوا يبتغون الاصلاحات الاساسية لتخليص وطنهم ساعين وراء سعادة الملك والملة وسعادة انفسهم

كلف الشمس

يقول بعض العلماء الباحثين في تاريخ العمران الاوربي ان العلم حُفظ في الاديرة وأُذيع على يد الرهبان ولولاها ولولاهم لما ابقت العصور المظلمة على شيء منهُ . وسواء صحَّ هذا القول على اطلاقهِ او لم يصحَّ فكثيرون من الرهبان ولاسيما من طغمة اليسوعيين خدموا العلم خدمةً كبيرة تذكر لهم بالشكر . وقد اطَّلعنا الآن على مقالة لواحد منهم وهو الاب كورتي اليسوعي في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية تشهد لهُ بغزارة العلم ودقَّة البحث فاقتطفنا منها الحقائق التالية

ظهرت كلف كبيرة على وجه الشمس في الخامس من شهر اكتوبر الماضي وغابت عنهُ في الثامن عشر من الشهر وبلغ اتساعها تسعين الف ميل اي كانت مساحة سطحها اكثر من مساحة سطح الارض الفاً وثلثمئة مرة . ولم تظهر هذه الكلف على غير انتظار لانهُ ظهر في الشمس الاضطراب منذ شهر سبتمبر من العام الماضي كأَنها ملَّت السكون وارادت العود الى الثوران كما يبين من ظهور الكلف الكثيرة على وجهها وبروز المشاعل والالسنة النارية منها وكلها دليل على ان دور الاضطراب حان عودهُ والنار المخبوءَة تحت الرماد عادت الى الاتقاد . ويظهر من ارصاد جرينوتش ان مساحة المشاعل التي تظهر على وجه الشمس قد زادت في العام الماضي وهذا العام . واذا حسبنا عدد الكلف دليلاً على اضطراب الشمس فقد كان الاضطراب على اشدهِ اخيرًا سنة ١٨٩٣ لان عدد الكلف التي ظهرت حينئذٍ كان ٢٨٥ ثم نقص حتى بلغ ٧٣ كلفة سنة ١٨٩٩ و٤٥ كلفة ١٩٠٠ و٢١ كلفة سنة ١٩٠١ و٢١ كلفةً ايضاً سنة ١٩٠٢ وكانت الكلف التي ظهرت سنة ١٩٠١ اضيق مساحة من الكلف التي ظهرت سنة ١٩٠٢ فسنة ١٩٠١ اقلُّ السنين كلفاً في هذا الدور . ثم عادت الشمس الى الاضطراب من شهر سبتمبر سنة ١٩٠٢ والمرجح ان اضطرابها يبلغ اشدهُ في العام المقبل اي سنة ١٩٠٤ لان زمن الانحطاط في عدد الكلف طويل متدرّج اقتضى تسع سنوات واما زمن الارتقاء او العود الى الاضطراب فسريع قصير تكفيهِ سنتان . وهذا شأن كل الافعال الطبيعيَّة التي لها ادوار

تدور فيها فان الهبوط يكون بطيئاً متدرجاً واما الصعود فيكون سريعاً قصير المدة

واكتشاف الكلف على وجه الشمس كان من اول اثمار التلسكوب اكتشفها غاليلو سنة ١٦١٠ ورآها غيره في العصور السابقة بعيونهم من غير نظارة ولكن كان يُظَن انها اجسام طائرة في الهواء تمرُّ امام الشمس فترى كالكلف على وجهها . ورأى الكلف حينئذ الاب شينر ويقال انهُ اخبر رئيسهُ بما رأى فقال لهُ الرئيس لعلّ ما رأيتهُ ناتج عن خلل في التلسكوب او في عينيك لان ارسطوطاليس حتم بان وجه الشمس نقي لا شائبة فيهِ . الى ان الاب شينر ظلّ يرقب كلف الشمس وظن في اول الامر انها اجسام بعيدة عنها تدور حولها كالسيارات ثم تحقق انها متصلة بسطحها وعرف منها مدة دوران الشمس على محورها وهي ٢٥ يوماً ونصف يوم بالتقريب وعرف ايضاً اتجاه محور الشمس . وكان يرصدها بتلسكوب بسيط قائم على محور متجه الى نجم القطب فيبقى متجهاً الى الشمس في مدارها. وكان يديرهُ بيدهِ كما يدار التلسكوب الآن بآلة الساعة ويلقي صورة الشمس منهُ على ستار وينظر اليها كما يُفعَل الآن في رسم الكلف وغيرها من الظواهر الشمسيَّة

الآن ان الكلف التي ترى احياناً على وجه الشمس ليست سوى تفاقم ما يوجد على وجهها دواماً من البقع والمشاعل فانهُ اذا رُصد وجهها بتلسكوب كبير والقيت صورتها على ستار في غرفة مظلمة ظهر في وجهها دائماً تبقيع كثير . وقد صوَّرها المسيو جانسن صوراً فوتوغرافية ظهر التبقيع فيها ظهوراً واضحاً وظهر فيها ايضاً خطوط ونقط مظلمة ولذلك فوجه الشمس الذي نراهُ بعيوننا بسيطاً صقيلاً مؤلف من بقع او مشاعل (لان المشاعل اذا نُظِر اليها من الاعلى بانت بقعاً منيرة) واذا زادت هذه المشاعل في جهة تكوَّنت منها الكلف. ثم ان الاستاذ هايل صوَّر الابخرة التي حول قرص الشمس في مرصد يارکس بشيكاغو فوجدها خليطاً من ابخرة الكلسيوم والهيدروجين والحديد وغيرها وهي منتشرة حول الشمس كلها ويزيد اضطرابها واشراقها في جوار الكلف وتماثل ما حول الكلف من البقع فهي تؤيد ما تقدَّم من علاقة الكلف بالبقع او المشاعل

وتتولَّد الكلف هكذا : يضطرب وجه الشمس في المكان الذي تظهر فيهِ الكلف الكبيرة بعدئذٍ وترى فيهِ كلف صغيرة ومشاعل تختفي ثم تعود ثانيةً . ويظهر من الرسوم التي رسمناها في مرصد ستونيهرست[1] منذ شهر يوليو الماضي انهُ ظهر على وجه الشمس حينئذٍ مجموع صغير من

(١) مدرسة ستونيهرست Stonyhurst. من اشهر مدارس الكاثوليك في البلاد الانكليزية ومرصدها من المراصد الشهيرة ايضاً بلغ معظم شهرتهِ في عهد مديرهِ المرحوم الاب بري

النقط لا تكاد تُسمَّى كلفاً ظهرت بقرب المكان الذي ظهرت فيهِ كلف اكتوبر وكان ذلك المكان هادئاً منذ عدة اشهر . ولما اتمت الشمس دورتها ظهرت هناك كلفة صغيرة في ١٧ اغسطس . وظهرت هذه الكلفة في الدورة التالية في ١٥ سبتمبر وكان معها نقط صغيرة والظاهر ان هذه النقط اجتمعت معاً وتكوَّنت منها نواة الكلفة الكبيرة التي ظهرت في اكتوبر وهي اكبر كلفة ظهرت منذ سنة ١٨٩٨ وتكاد تقارب الكلفة التي ظهرت سنة ١٨٨٢ (٢)

وتبتدئ الكلفة الكبيرة غالباً ببقعة صغيرة منيرة يظهر فيها نقط سوداء تجتمع معاً بعد يوم او يومين ويصير منها كلفتان كبيرتان يتبعهما كلف اخرى صغيرة وتكون الكلفة المتقدمة من الكلفتين اوضح من اختها واحشك وقد تكون هذه اوسع مساحة من الاولى وحينئذٍ تأخذ الكلفة الاولى تسير في طريقها بسرعة تقدَّر بمئات الاميال في الساعة ويظهر كأن الكلفتين تتدافعان في بعض الاحيان ويملأ الفراغ الذي بينهما بكلف صغيرة ويتم ذلك كلهُ في مدة خمسة ايام الى سبعة من حين ولادة هذا المجموع . والغالب ان تكون كلف المجموع ممتدة في خط موازٍ لقطر الشمس الاستوائي . وبعد يومين او ثلاثة تزول الكلف الصغيرة التي بين الكلفتين الكبيرتين فتبقيان وحدهما

لما ظهرت كلف اكتوبر على الطرف الشرقي من قرص الشمس في اليوم الخامس من الشهر كان عمرها يوماً او يومين وفي السابع منهُ ظهرت فيها الكلفتان الكبيرتان وفي العاشر ظهرت الكلف الصغيرة بينهما وتكاملت بين الثالث عشر والخامس عشر ثم زالت حينما بلغت الكلفة المتقدمة طرف الشمس الغربي في السابع عشر من الشهر . واذا جرى هذا المجموع المجرى العادي فالكلفة التابعة من الكلفتين المتقدمتين تتمزق وتختفي وتبقى المتقدمة وحدها وتصير سوداء مستديرة . وتعود الى الظهور في الحادي والثلاثين من اكتوبر بدوران الشمس على محورها مالم تتمزَّق وتختفِ قبل ذلك وهذا بعيد الوقوع في كلفة كبيرة مثل هذه فان بعض الكلف التي انفردت كذلك بقيت على وجه الشمس مدة اربع دورات او خمس من دوراتها

وسير الكلف على ما تقدَّم من الظهور والنمو والتقدم والتمزُّق والاختفاء مستنتج من اربعة آلاف رسم رُسمت في مرصد ستونيهرست لكلف الشمس منذ سنة ١٨٨١ وقد اختير منها ٣٠٠ مجموع من مجاميع الكلف ظهرت في ١٢٠ اضطراباً من اضطرابات الشمس ولذلك فهي عامة لاكثر الكلف وتدلُّ على استيلاء النظام والقياس حتى على الاضطراب

ومن اوضح العلامات على ان الكلفة بلغت حدها من النمو وقاربت الاضمحلال ان

(٢) رصدنا تلك الكلفة في بيروت وكنا نراها بالعين المجرَّدة

المشاعل التي حولها تكون متصلة في اول الامر ثم تتشعب متى شاخت الكلفة وتمتد منها السنة منيرة في فسحات كبيرة وقد تبقى هناك مدة دورتين او اكثر من دورات الشمس بعد ان تزول الكلفة تماماً ولكن يقل اشراقها باتساع سطحها. وقد يحدث فيها انفجار جديد حينما تبلغ الكلف معظمها ولذلك يتكوَّن منها منطقة حول الشمس في دور تكاثر الكلف

واسوداد الكلفة غير منتظم بل بعضها اشد سواداً من البعض الآخر ويقال للقسم الاوسط منها الظل ويظهر شديد السواد ولاسيما في الكلف الكبيرة المستديرة . وحول الظل حلقة كبيرة يمتدُّ منها طرائق مشرقة يفصل بينها خطوط مظلمة وهذه الحلقة تسمَّى الظليل . وقد توجد بقع من الظليل منفصلة عن الظل ولكن لا تكون فيها الطرائق المشرقة وكأَن هذه الطرائق مواد منيرة تجري وتنصبُّ في كهف مظلم والظل ذلك الكهف او كأَنها انهر منيرة جارية على جوانب جبل مظلم والظل ذلك الجبل

ثم ان الظل نفسهُ ليس من لون واحد في سوادهِ بل فيهِ نقط احلك سواداً من باقيهِ وتسمى بالنوى . وقد اختلف الباحثون في كون الكلفة كهفاً او جبلاً اي في كونها انخفاضاً في الكرة المنيرة المحيطة بالشمس او ارتفاعاً فوقها . وقد امعن بعض العلماء نظرهم في ستمئة كلفة فوجدوا ٤٥٠ كلفة منها ينطبق عليها القول الاول اي انها انخفاض او تجويف في الكرة المنيرة والباقي ينطبق عليهِ القول الثاني اي انها ارتفاع فوق الكرة المنيرة . وامعن غيرهم نظرهم في كلف اخرى فوجدوا اكثرها لا ينطبق عليهِ القول الاول بل الثاني ولذلك فان كان بعض الكلف مجوَّفاً فتجويفهُ سطحيٌّ غير غائرٍ كأَنهُ صحاف الطعام

وسواء كانت الكلف مجوفة او محدبة فهي مؤلفة من غازات معدنية اكثرها من القناديوم والتيتانيوم . وهذه الغازات تحت ضغط شديد كما يظهر من البحث بالسبكتروسكوب . والكلف نيرة جداً ولكنها تظهر مظلمة لشدة نور الكرة المنيرة حولها ولان الابخرة التي حولها تمتص نورها

ثم انتقل الكاتب الى الامر العملي الذي ادَّت اليهِ مراقبة كلف الشمس ذلك ان رجلاً صيدلانياً من اهالي دسو اسمهُ شواب رصد الكلف خمساً وعشرين سنة فاستنتج انها تكثر وتقل في ادوار محدودة طول الدور منها نحو احدى عشرة سنة . واثبتت الارصاد التالية هذه النتيجة وبيَّن الدكتور لُكيَر ان للكلف دوراً آخر وهو خمس وثلاثون سنة فاذا صحَّ ذلك فنحن الآن في بداءة دور الزيادة العظمى كما حدث سنة ١٨٧٠

ومن المرجح ان تكاثر كلف الشمس يدلُّ على زيادة ما يصدر منها من النور والحرارة ولذلك فكل ما يتعلق على الشمس يزيد بزيادة الكلف وينقص بنقصانها كالتغيرات المغنطيسية

والكهربائية والشفق القطبي وحرارة الهواء وضغطهُ ورطوبتهُ وحركة الرياح ومقدار السحاب والمطر وفيضان الانهار وسير انهر الجليد وعدد ما ينكسر من السفن وما يفلس من البنوك وما يمحل من المواسم وما يحدث من القحط والمجاعات والحروب بل عدد ما يطير من الحشرات وما يثور من البراكين وما يحدث من الزلازل ومقدار ما يتكوَّن من الاوزون . ويقال جملة ان الخصب والرخاء يتوقفان على كلف الشمس اكثر ممَّا يتوقفان على غيرها

ولكن لم يثبت من هذه الامور ثبوتًا قاطعًا الاَّ علاقة كلف الشمس بمغنطيسيَّة الارض فاذا زادت الكلف زادت الانواء المغنطيسيَّة ففي هذه النوبة انحرفت الابرة المغنطيسيَّة في الثاني عشر من اكتوبر في مرصد ستونيهرست ٥١ دقيقة من القوس وانحرفت وقت ظهور الكلفة الكبيرة سنة ١٨٩٢ ثمانين دقيقة من القوس وعند ظهور الكلف في نوفمبر سنة ١٨٨٢ درجتين و٢٣ دقيقة من القوس . لكن يستحيل ان يكون هذا الانحراف ناتجًا عن كلف الشمس مباشرةً كما ابان لورد كلفن بل المرجح ان هناك سببًا آخر يفعل بالشمس وبمغنطيسيَّة الارض في وقت واحد ولعلَّهُ عصائب من الالكترونات تفعل بالارض فتسبب الانواء المغنطيسيَّة فيها وتفعل بالشمس فتسبب توازنًا كهربائيًّا تظلم بهِ الابخرة التي تكوِّن الكلف كما ارتأى الاب سدجريفس

اما من حيث علاقة كلف الشمس بالحوادث الجوية فلم يتقرَّر شيءٌ حتى الآن ولكن في مباحث السر نورمن لُكيَر والدكتور لُكيَر عن علاقة الكلف بضغط الهواء ما يقوِّي الامل بالوصول الى نتيجة مفيدة من هذا القبيل فاذا استطعنا ان ننبئ بحدوث القحط في بلاد الهند قبل حدوثهِ بناءً على ما علمناهُ من ظهور كلف الشمس نكون قد افدنا فريقًا كبيرًا من نوع الانسان فائدة لا تقدَّر . انتهى

هذه خلاصة المقالة التي كتبها الاب كورتي . وقد حاولنا روية هذه الكلفة بالعين المجرَّدة بعد إضعاف نور الشمس بزجاجة مسوَّدة بالدخان فلم نستطع ولكننا رأيناها بنظارة صغيرة جدًّا من النوع المعروف بنظارة الاوبرا راقبناها بها عند كتابة هذه السطور في الحادي عشر من شهر نوفمبر وكانت قد بلغت اول الربع الاخير من قطر الشمس من الجهة الغربيَّة فرأيناها كما في الشكل التابع لهذه المقالة . ثم رأيناها بنظارة المرصد الخديوي في العباسية فوجدناها مؤلفة من كلف كثيرة رسمناها بالتقريب في الرسوم التابعة لهذه المقالة

ولم ينصرم شهر اكتوبر حتى ظهر تأثير هذه الكلفة في مغنطيسيَّة الارض ظهورًا نادر المثال فقد كتب الاب كورتي من مرصد ستونيهرست الى الدكتور لكيَر يقول "مرَّ بنا

نوءٌ كهربائي شديد جدًّا في يومي السبت والاحد (٣١ اكتوبر و ١ نوفمبر) وهو اعظم نوءٍ رُصد عندنا بلغ فيهِ انحراف الابرة المغنطيسية درجتين و ٤٦ دقيقة"

وجاءتنا الجرائد الاوربية عند كتابة هذه السطور مشحونة باخبار هذا النوء وانقطاع الانباء البرقية بهِ فالرسائل التي أُرسلت الى انكلترا من روسيا واسبانيا وسويسرا وفرنسا والمانيا وبلجكا وغيرها من البلدان يوم السبت وصلت اليها متأخرة ساعة او اكثر عن ميعادها. وقال مدير التلغرافات العام ببلاد الانكليز انهُ لم يشاهد مثل هذا النوء الكهربائي منذ اثنتي عشرة سنة. وشعر اهالي الولايات المتحدة الاميركية بهذا النوء كما شعر بهِ اهالي اوربا فتأثرت منهُ الاسلاك البرقية واسلاك التلفون ودام فعلهُ ثماني ساعات وبلغ مقدار الكهربائية في الاسلاك البرقية ٦٧٥ ڤلطاً اي ما يكفي لقتل الانسان مع انها لم تكن متصلة ببطرية كهربائية. ثم ان النوء الكهربائي الذي حدث سنة ١٨٧١ بلغت كهربائيتهُ على الخط الذي بين السويس وعدن ١٧٠ ڤلطاً فقط فنوءُ هذا العام اشد منهُ كثيرًا

وقال ناظر التلغراف والبريد في باريس ان الانباء البرقيَّة انقطعت بسبب هذا النوء بين فرنسا واميركا واسبانيا والبرتغال وايطاليا والجزائر وتونس

وظهر الشفق القطبي في اماكن كثيرة فرآهُ اهالي نيويورك واهالي ارلندا وسكتلندا في الجهات الشماليَّة ورآهُ اهالي استراليا في الجهات الجنوبية وكان ذلك في يوم واحد اي في غرة نوفمبر

وحدثت الزلازل في اماكن كثيرة فشعر بها اهالي ايطاليا والمانيا واهالي طرشيز في بلاد فارس وغيرهم في اماكن اخرى

وكتب الدكتور لكير في الجزء الاخير من مجلة ناتشر يعلل حدوث هذا الاضطراب الكهربائي ويعلقهُ بالنتوات التي تظهر على وجه الشمس. وقد نُظرت اولاً حينما كُسفت الشمس كسوفاً تامًّا سنة ١٨٦٨ بارزة حول ظل القمر ثم اشار السر نورمن لكير والدكتور نانسن بطريقة لرؤيتها في كل حين وقد رسمناها في الشكل التابع لهذه المقالة وهي تدل على زيادة الاضطراب في الشمس. وقال ان الكلف مهما كبرت لا تعدُّ شيئاً بالنسبة الى هذه النتوات وانبأ بان هذا الاضطراب الكهربائي سيمتد من الآن الى سنة ١٩٠٦ او ١٩٠٧ فيظهر الشفق القطبي مرارًا في هذه الاثناء ثم يعقب ذلك عشر سنوات او احدى عشرة سنة يسود فيها السكون

وغنيٌّ عن البيان ان قلة فيضان النيل في السنوات الاخيرة وقلة الامطار في بلاد الهند موافقتان لزمن قلة الكلف وقد زاد الفيضان هذا العام وزادت الكلف ايضاً فاذا ثبتت علاقة كلف الشمس بفيضان النيل فتكون السنوات الست التالية سنوات خصب ورخاء

مكاتب الاولاد في اميركا

تمتاز مدن الولايات المتحدة بكثرة المكاتب العمومية المجانية حيث يزدحم الناس من كل الطبقات للمطالعة . وكثيرًا ما تكون مجامع علمية يجتمع فيها اعضاء المنتديات الادبية لدرس المواضيع التي يبحثون فيها في منتدياتهم مما لا نرى لهُ اثرًا في بلادنا . والاميركيون يحرّمون الاشتغال يوم الاحد تحريمًا دينيًّا ولكنهم يبقون مكاتبهم مفتوحة للذين يزورونها فيهِ لان كثيرين لا يمكنهم المطالعة فيها الاَّ في ذلك اليوم

ومن اكبر هذه المكاتب مكتبة بوستن المجانية انشأها رجل اسمهُ يشوع باتس وهو من اهالي مستشوستس وكان قد هاجر الى لندن وصار مديرًا لبنك بارنغ فلم ينسَ بلادهُ مسقط رأسهِ بل ارسل اليها ما يزيد على خمسين الف ريال وخمسين الف كتاب لانشاء مكتبة في مدينة بوستن . فبنيت وتجدد بناؤُها سنة ١٨٩٥ وزيد عليها دائرة تحفظ فيها تقارير القناصل الامركيين ونوابهم الذين يعوّل عليهم في نشر التجارة في البلاد الاجنبية فانهم يكتبون تقارير مسهبة عن تجارة البلاد التي هم فيها ويذكرون ما يروج هنالك من البضائع واسباب رواجها والالوان او الاشكال الموافقة لذوق اهاليها ويبدون آراءهم في ما ينتظر من هبوط الاسعار او صعودها وهكذا يتمكن التاجر الاميركي من الوقوف على احوال التجارة في كل اصقاع المعمور

وتلقى في تلك المكاتب خطبٌ في مواضيع شتى مما يوافق ذوق الجمهور وترسل منها الى معلمي المدارس وتلامذتها كتبٌ في المواضيع التي يهمهم البحث فيها والى منتديات الامهات كتب في كيفية الاعتناء بالاطفال وتربيتهم وتدبير المنزل والصحة وغير ذلك من الكتب المفيدة فيطالعها النساء في بيوتهنَّ لان اشغالهنَّ لا تسمح لهنَّ بالذهاب الى المكاتب . وقد أُنشئ فروع لهذه المكاتب في جهات مختلفة تكفي النساء مشقة السفر الى المكاتب الكبرى لتسليم الكتب المقروءَة واستلام غيرها

قلنا ان هذه المكاتب ترسل كتبًا الى معلمي المدارس وتلامذتها وقد دعا هذا الامر الى انشاء مكاتب خصوصية للاولاد يباح لهم ان يختاروا ما يشاؤُون من كتبها للمطالعة وليس هنالك ما يخشى منهُ على آدابهم اذ ليس فيها كتبٌ خارجة عن حد الآداب . وقد أُقيم في مدينة بوستن عشرون شخصًا من الرجال والنساء لمطالعة الكتب الجديدة قبل وضعها في تلك المكاتب لئلا يكون فيها ما ينافي الآداب وان اختلف هؤُلاء العشرون في آرائهم فيها فلمديري المكتبة

الحق في قبولها او رفضها · ولا تقبل فيها كتب المطاعنات الدينية ولا كتب المجادلات ولا الكتب التي تولد في الانسان روح الزهد والقنوط · وتكثر فيها الروايات الخالية مما يشين الآداب ككتب سِيَر العظماء والسياحات ومبادىء العلوم الطبيعية والتاريخ وكتب الحكايات على انواعها لان الصغار يرغبون فيها . ويحق لكل من كان عمرهُ تحت السادسة عشرة الدخول الى منتدى الاولاد واخذ الكتاب الذي يريدهُ بشرط ان يرجعهُ الى مكانهِ بعد الفراغ من مطالعتهِ · ويُسمح لمن كان عمرهُ فوق الثانية عشرة باخذ كتبٍ يطالعها في بيتهِ بشرط ان لا تتجاوز مدة المطالعة وقتاً محدوداً هو في الغالب اسبوعان · فاذا اساء استعمالها او فقدها او اخَّرها غُرِّم . وهذا قليل الحدوث لدقة الاولاد في محافظتهم على الكتب والاوقات . ويسمح لمن كان فوق العاشرة باستعمال المعجمات وما يماثلها بطلب رسمي من معلمهِ

واذا قربت ايام الاعياد والمواسم عُلّقت في المكاتب صور وشروح تاريخية متعلقة بذلك العيد او الموسم . فاذا احتُفل مثلاً بتذكار واقعة حربيَّة عُلِّقت اخبارها في مكاتب الاولاد ومعها صور القواد والضباط الذين اشتهروا فيها ونحو ذلك حتى يرسخ تاريخها في اذهانهم وشُفع ذلك باشارات الى الكتب التي تحوي اخبار تلك الواقعة . وفي الاحتفال بمولد العظماء كشكسبير وملتون ونيوتن ولابلاس ووشنطون تُنشر صورهم ويُذكر ما عملوهُ من الاعمال العظيمة . ويسمح للاولاد حينئذٍ ان يعرضوا ما عندهم من ازهار ونباتات ورسوم وغيرها فيُمنحون الجوائز عليها

وفي بعض المكاتب يفرض على الاولاد ان يذهبوا اولاً الى بيت الغسيل لينظفوا اياديهم قبل ان يمسكوا الكتب . ويعطون علامات مخصوصة كالشرائط الحريرية ونحوها يضعونها في الكتاب ليتذكروا المكان الذي وصلوا اليهِ في قراءتهم من غير ان يثنوا اوراقهُ . وكثيراً ما يكون مكتوباً على تلك العلامات جملٌ حكمية تتخذها المكتبة شعاراً لها . فالعلامات التي تستعملها مكتبة كلفلند مثلاً مكتوب عليها " قلوب طاهرة وايدٍ نقية وكتب نظيفة "

وقد ظهرت فائدة هذه المكاتب بانها جعلت الاولاد يشبُّون على اللطف والدعة والنظافة والاعتراف بالجميل مع الرغبة في العلوم والمعارف . وعلى هذا النمط يزيد ارتقاء الامة الاميركية لان وسائل التعليم والتهذيب ميسورة لجميع اعضائها حتى الاطفال . فعسى ان يكون في ذكرنا ذلك عبرة لاهالي المشرق الذين اذا قصدوا عمل مبرة اوقفوا اموالهم على اطعام الكسالى والمنقطعين للعبادة فلا تنفعهم ولا تنفع بلادهم

تركيب الانسان

المرءُ مطبوع منذ حداثتهِ على البحث والتنقيب للوقوف على الاسرار والمخبئات . فاذا اعطيت صبيًّا لعبةً تراهُ لا يهدأُ لهُ بال حتى يعلم كيفية تركبها وتحركها ولو ادَّى ذلك الى تكسيرها وتخريبها . ومن الغريب ان الانسان لايدع شيئًا حولهُ حتى يتأَملهُ ويدرسهُ اما تركيب جسمهِ فقلما يكترث لهُ وقد لا يعرف عنهُ سوى ما يتلقنهُ عنهُ في المدارس من المصطلحات العلمية والمسميات الاعجمية حالة كونهِ من ابدع ما خلق الخالق ودرسهُ من الذ الدروس واشهاها . ولذا عنيت بجمع طرف مما وصل اليهِ بحث العلماء في هذا الشأن وافرغتهُ في قالب قريب المأْخذ تفكرة للذين يودون معرفة انفسهم بغير ان يتكلفوا عناء المطالعة في المطولات

جسد الانسان مؤَلف من بعض الغازات والسوائل والجوامد وهو على اختلاف انواعهِ ودرجاتهِ من الزنجي الى القوقاسي ومن الملك الى الصعلوك ومن الحكيم الى الجاهل مؤَلف من عناصر متماثلة لا تفرق في الواحد عما هي في الآخر

وهو وان ظهر للعيان جامدًا فاكثرهُ مؤَلف من غازات اذا أُفلتت منهُ ملأَت وعاءً كبيرًا اتساعهُ ٣٦٤٩ قدمًا مكعبةً . والعناصر الرئيسية التي يتركب منها ثمانية خمسة منها غازيَّة. وهي الاكسجين والهيدروجين والنيتروجين والكلور والفلور . وثلاثة جامدة وهي الكربون والجير والفصفور . وفيهِ غير ما تقدم كميات قليلة من ستة عناصر اخرى . وهي الحديد والكبريت والصوديوم والبوتاسيوم والسليكون والمغنيسيوم . ومجموع ذلك اربعة عشر عنصرًا . وقد يوجد في بعض الاجسام مقادير صغيرة جدا من عناصر اخرى دخيلة عليها كالنحاس والالومنيوم والمنغنيس والرصاص والزئبق والزرنيخ والليثيوم

وهاك نسبة الاربعة عشر عنصرًا بعضها الى بعض في جسم الانسان المعتدل (١) مرتبة بحسب مقاديرها : —

	قمحة	اوقية	رطل
اوكسجين	.	.	١٠٦
كربون	.	٨	٢١
هيدروجين	.	٨	١٣
نيتروجين	.	٨	٤

(١) اطلقنا عبارة الجسم المعتدل هنا على الانسان الذي يبلغ وزنهُ ١٥٠ رطلاً مصريًا

	قمحة	اوقية	رطل
جير	٠	٠	٢
فصفور	٠	٨	١
كلور	٠	٤	٠
صوديوم	٠	٣	٠
كبريت	٢٤٠	٢	٠
فلورين	٠	٢	٠
بوتاسيوم	٠	١	٠
حديد	٤٨	٠	٠
مغنيسيوم	١٢	٠	٠
سليكون	٢	٠	٠
مواد اخرى	١٧٨	٣	٠
والمجموع	٠٠٠	٠	١٥٠

"والاوكسجين" اهم تلك العناصر واكبرها مقدارًا ويدخل في تركيب اللحم والعظم. وهو منضغط ضغطًا شديدًا في الجسم فان حجمهُ الطبيعي لو أُفلت منهُ يملأُ انبوبة زجاجية اتساعها من الداخل قدم مربع وطولها ١١٩١ قدمًا اي نحو ربع ميل. واذا افرغناهُ في براميل اقتضى ٢٠٢ يسع كلٌّ منها ٣٦٠ رطلاً

اما "الهيدروجين" فاعظم حجمًا من الاوكسجين لكنهُ اخف منهُ وزنًا. ففي الجسم المعتدل من الهيدوجين ما يكفي لطيران بالون يحمل ذلك الانسان والمركبة التي يجلس فيها . وحجمهُ يساوي ٢٤٠٠ قدم مكعبة وهو يملأُ غرفة ارتفاعها عشر اقدام وطولها ١٥ ١/٢ قدمًا في مثلها عرضًا

"والنيتروجين" لا يزيد مقدارهُ في الجسم على نصف اوقية في كل رطل منهُ . اما حجمهُ عند افلاتهِ فيبلغ عشرين ضعفًا من الجسم اي ٥٨ قدمًا مكعبة ومع ذلك فانهُ لا يشغل فيهِ سوى بضعة عقد مكعبة . ومن خواصهِ العجيبة انهُ يكرهُ الاتحاد مع غيرهِ من العناصر ولذلك أُطلق عليهِ اسم الازوت اي العنصر العديم الحياة . امَّا اذا أُكره على الاتحاد فحينئذٍ تظهر قوتهُ ويتجلى فعلهُ فيفيق من سكونهِ ويهبُّ بفرقعة شديدة ويصبح اشدَّ العناصر فعلاً . واليهِ ينسب فعل جميع المواد المفرقعة المعروفة كمركَّب النيتر وجليسرين او مركَّب كلوريد النيتروجين الذي هو اعظم المتفرقعات فتكًا واكثرها خطرًا فانهُ يشتعل بمجرد وقوع اشعة الشمس عليهِ

اما في الجسم فينسب اليهِ فعل الدماغ والاعصاب وذلك بواسطة اتحادهِ مع عناصر اخرى ومنهُ تبدو كل ظواهر الحياة والنشاط مع انهُ في حدّ ذاتهِ مثال الموت وعدم الحياة

"والكربون" — وهو آخر العناصر التي تشغل حيزًا كبيرًا من الجسم — ووزنهُ ٢١ رطلاً ونصف رطل. وهو وقود الجسم فمنهُ نستمد الحرارة وبهِ نستعين على الحركة وعليهِ تتوقف حياتنا الحيوانية

ويتضح مما تقدم ان الاربعة العناصر السابق ذكرها يتألف منها ١٤٥ ١/٢ رطلاً من جسم الانسان المعتدل القامة وتدخل في تركيب الدم واللحم والعظم. اما العشرة العناصر الباقية فلا يزيد وزنها كلها على اربعة ارطال ونصف رطل الّا انها غاية من الاهميَّة للحياة لا غنى للجسم عنها كما سيجيء

ففي الجسم رطلان من "الجير" و ٢٤ اوقية من الفصفور ولولا هذان العنصران لما انتصبت قامة الانسان ولا سار على قدميهِ بل عاش رخو العظام لينها يزحف كالدبابات على وجه البسيطة. وعليهِ فرطلا الجير في الانسان هما علة ايجاد المعامل واصطناع الآلات في العالم وسبب انشاء السفن ومدّ السكك الحديدية وبهما اقيمت الابنية الشاهقة وعمرت الممالك الآهلة. ولو خلق الانسان بدونهما لكان مأواهُ شقوق الارض ومغاير الجبال يخرج منها صباحًا ليلتقط البقول والاثمار واوراق الاشجار ويدبُّ اليها ليلاً للمبيت والالتجاء

اما "الفصفور" فمن غريب امرهِ انهُ رغمًا عن كونهِ سمًّا زعافًا يحوي الجسم منهُ رطلاً ونصف رطل في عظمهِ ولحمهِ وعصبهِ بغير ان يتأثر من فعلهِ السام مع ان كمية كهذه تكفي لقتل سكان قرية من القرى الكبيرة عن بكرة ابيهم اذا هم تناولوهُ. او تكفيهم ليعملوا منهُ ما يلزم لهم من عيدان الفصفور لانهُ يصنع من هذا المقدار الصغير ٨٠٦٤ علبة من العيدان في كل منها ٦٠ عودًا. وفائدة الفصفور للعظام انهُ باتحادهِ مع الجير والاكسجين يكوّن ما يعرف بفصفات الكلس وهي مادة صلبة جدًّا واليها تنسب متانة العظم وصلابتهُ. واما فعلهُ بانسجة الجسم الاخرى فلم يكشفهُ العلم للآن تمامًا لكن هذا الفعل كبير ودليل ذلك انهُ اذا نقصت كمية الفصفور في جسم الانسان انحرفت صحتهُ وفترت همتهُ ولا تعاودهُ قوتهُ الّا اذا استردّ القدر اللازم منهُ بواسطة المداواة والتغذية. وقد ذهب جمهور من العلماء ان من هذا العنصر تتولد القوى العقلية في الدماغ ومما لا ريب فيهِ ان للفصفور فعلاً شديدًا في القوى العصبية

"والحديد" ضروري جدًّا لحياة الجسم فلولاهُ لعجز الدم في دورتهِ عن نقل الاكسجين من الرئتين الى جميع اطراف الجسد. واذا استخرجناهُ من جسم اشد الرجال بأسًا وقع بعد

برهة ميتاً مع ان كميتهُ فيهِ لا تزيد على عُشر اوقية اي ما يعادل اربعة او خمسة من المسامير الصغيرة

والخلاصة ان الحكمة الالهية قضت بان كل عنصر في الجسم يكون ضروريًّا للحياة سواءٌ كان مقدارهُ فيهِ كبيرًا او صغيرًا ولذا يتعذر علينا تفضيل احدها على الآخر . ويطول بنا الشرح لو اتينا على الفوائد الكثيرة التي يجنيها الانسان من كلٍّ من بقية العناصر البسيطة الداخلة في تركيب جسمهِ وهي الصوديوم والبوتاسيوم والكبريت والكلور والفلور فنقصر الكلام على المواد التي تتركب من اتحاد عنصرين فاكثر معاً اذ قلما نجد عنصرًا بسيطاً يسرح في الجسم مستقلاً عن غيرهِ الاَّ اتفاقاً كبعض آثار من الاكسجين او النيتروجين او قليل من دقائق الكربون في الرئتين . بل نراها كلها متمازجة بعضها مع بعض بكميات مختلفة واشكال متنوعة . وميلها الى الاتحاد شديدٌ طبيعيٌّ لا تنفصم عراهُ الا بفعل كيماوي قويّ . وما قوى الانسان سوى تحويل بعض اشكال تلك المواد المركبة الى اشكال اخرى ابسط منها . ولا يخفى ان تركيب هذه المواد يتمُّ في المملكة النباتية بفعل الشمس ثم تنتقل من النبات الى الحيوان بطريق الغذاء

و" الماءِ الزلال " اكثر العناصر المركبة في الجسم واهمها . وهو مؤَلف من اتحاد جزئين من الهيدروجين بجزءٍ من الاوكسجين . وتبلغ كميتهُ في الجسم المعتدل من ٩٠ الى ٩٦ رطلاً وفوائدهُ للحياة متعددة لكن اعظمها ما يأْتي :

من المعلوم ان القسم الاكبر من العظام والدهن يتأَلف من مادة غير آلية اي لا حياة فيها . اما المادة التي تجعل الجسم حيًّا فهي " البروتوبلازم " ومنها يتركب الجزء الاعظم من العضل والدماغ والعصب والرئتين والقلب الخ . والبروتوبلازم ملايين من الكريات الصغيرة مرصوفة الواحدة بجانب الاخرى وملتحمة بعضها ببعض على انساب مختلفة . وهي لا تعيش الَّا في الماء كالسمك واذا أُخرجت منهُ ماتت في الحال . فحيثما يكون البروتوبلازم في الجسم (وهو في جميع اجزائهِ تقريباً) تراهُ غارقاً في مسيل من الماء الجاري يقضي فيهِ كل مدة وجودهِ

والماء فضلاً عما تقدَّم ضروري لكل عمل يأتيهِ الجسم فهو الذي يحلل الطعام ويحمل كريات الدم ويرطب الاغشية المبطنة للفم والانف والحلق وكافة الجدران الداخلية . وهو الذي يتجمع كوسادة حول القلب واعضاء البطن فيصونها من العطب ويخفف حرارة الجسد عند تبخرهِ في شكل العرَق الى غير ذلك من المنافع الجزيلة . وكلما غزرت كمية الماء في الجسم زادت الحياة نشاطاً فاليهِ ينسب ميل الاولاد الى كثرة الحركة والى قلتهِ في الشيوخ يعزى بطوء حركتهم

" وملح الطعام " لهُ شأن عظيم في الجسم وهو من جملة المواد المركبة فيهِ ويتألف من امتزاج عنصر الصوديوم الجامد بعنصر الكلور الغازي . ويظهر انهُ ضروري لحياة كل عضو من الاعضاء وهو موجود في الدم والعضل وسائر السوائل والجوامد. وفائدتهُ انهُ يهيئ السوائل لتمرَّ في ادق الاوعية ويساعد في تحويل الغذاء من المعدة والامعاء الى مجرى الدورة الدموية وفي انتقال الدم من اطراف الشرايين الدقيقة الى الانسجة المختلفة . وقد دلنا الاختبار على انهُ اذا حُرِم الانسان من ملح الطعام اعتلَّ جسمهُ سريعاً وانتهى الى الموت . وكميتهُ العادية في الجسم نحو ست اواقٍ او سبع فقط ومع ذلك فان الانسان لا يحرص عليهِ بل يفرّط فيهِ ويضيع منهُ نصف اوقية يوميًّا

" والصودا اوكربونات الصودا " مادة مركبة من اتحاد الصوديوم بالكربون والاكسجين ولها فعل عظيم لاغنى عنهُ البتة . فان كمية صغيرة جدًّا منها تدور مع الدم ذائبة فيهِ الى جميع اجزاء الجسد كالكنَّاس الذي يسير في الطرق ليجمع الزبالة فتقبض على كل ما تعثر بهِ من ذرَّات الحامض الكربونيك السام وتحملهُ الى الرئتين لتطردهُ مع الهواء الى الخارج . وهذا الحامض السام يتولد بلا انقطاع في الجسم كلما عمل عملاً شاقًّا كان او طفيفاً فكل خفقة في القلب وارتفاع في الصدر بل كل ثنية اصبع او اغماض عين يفرز جزءًا من الحامض الكربونيك . واذا لم يبادَر الى تطهر الجسم منهُ اولاً فأولاً تجمَّع فيهِ سريعاً في بضع دقائق واوردهُ حتفهُ . والصودا من المركبات التي تكوّن العظام والاسنان بامتزاجها مع فصفات الكلس وفصفات المغنيسيا وفلوريد الكلس

وفي الجسم املاح كثيرة غير ملح الطعام تتولَّد باختلاط الصوديوم والبوتاسيوم والالومينيوم مع الهيدروجين والاكسجين . وفائدتها انها تحفظ الدم وبقية السوائل في حالة قلوية دواماً اي انها تقي اجسامنا من احد الاخطار التي تهدد حياتنا لانهُ اذا استحال الدم يوماً الى حامض خمدت انفاسنا في الحال . ومن تلك المركبات ايضاً " كلوريد الامونيوم " وهو للجسد كالبهار للطعام . ومنها " كلوريد البوتاسيوم " " والحامض الهيدروكلوريك " وهذا الاخير من المواد الاساسية لحفظ الحياة فيتركب منهُ كمية صغيرة في المعدة عند اللزوم لقتل اكثر انواع الميكروبات السامة التي تدخل الجوف مع الطعام وهو يمنع الاختمار ويساعد الهضم . وفي اجسام المتمدنين مركَّبات اخرى " كالحامض البوريك " " والحامض السليسيليك " تستخرجها من اللبن والزبدة واللحوم لكنها لا تدوم فيها طويلاً . وكذلك تستخلص الحديد والنحاس والانتيمون والزرنيخ مما يتناولونهُ من الشاي والبيرة والخضر المخللة وما اشبهها

هذا وكل المركبات السابق ذكرها وكثير غيرها ممَّا لم نذكرهُ تعرف بالمواد غير الآلية (اي المستمدَّة من المملكة الجمادية التي لا حياة فيها) . اما المركَّبات الآلية (المأخوذة من المملكتين النباتية والحيوانية) فمتعددة ايضاً وهي تتألف من المركَّبات غير الالية كما تتألف هذه من العناصر البسيطة . واكثر المواد الآلية حوامض توجد في الجسم بكميات صغيرة جدًّا ولولاها لذابت الاجسام كقطعة من السكر

"فالبروتئيد" — او المادة الزلالية وقلما تختلف عن بياض البيض — من المركبات المؤلفة من اتحاد بعض الاملاح والحوامض والعناصر المارّ ذكرها . وهي المادة الحية في الجسم وتدخل في تركيب العضل والقلب والرئة والدماغ والعصب والدم وتوجد في كل جامد وسائل ما عدا الصفراء . والبروتئيد يدخل الجسم من اللبن واللحم والبيض والسمك وبكميات قليلة من الخضر . ومن مميزاتهِ انهُ يحتوي على النيتروجين

وربما كان اقرب تعريف للحياة انها فصل الكربون والنيتروجين من البروتئيد . وماالتفكُّر وتأليف الكتب والقاء الخطب وابتكار المخترعات والاهتداء الى المكتشفات وغير ذلك من افعال العقل سوى انفصال الكربون عن النيتروجين في دماغ المؤلف والخطيب والمخترع والمكتشف الخ

"والنشاء" "والدهن" يتناولها الجسم من الطعام ايضاً . ويتركبان من كربون واكسجين وهيدروجين على نسب معلومة وتمرُّ عليهما بعد دخولها الجسم تقلبات عجيبة . فاغلب الدهن يلتقي في الاحشاء بمادة قلوية جاءَت اليها عمدًا من الكبد والبنكرياس لتتحد بهِ ويكوّنان مركبًا اشبه بالصابون ويتخلَّف عنهما كمية من الجليسرين ايضاً . ولا يصعب على الجسم ان يصطنع الدهن من نفسهِ اذا قدِّمت اليهِ لحمًا هبرًا او غذاءً نشويًّا او سكرًا فيحولهُ الى دهن نقي عند الاقتضاء . وكذلك ينقلب النشاء في الجسم الى سكر باتحاد قليل من الماء بهِ لان السكر نشاءٌ وماءٌ متحدان معاً . ومتى بلغ السكر الدم فإما ان يحترق في الانسجة او يظلّ سائرًا الى الكبد حيث يخرج الماءُ منهُ ويعود نوعاً من النشاء . وعند ما يشعر الانسان بالجوع يتحول هذا النوع من النشاء الى سكر ثانية ويدخل الدم ويحترق فيهِ ويتحول الى حامض كربونيك وماء . فالسكر في الجسم كقطع النقود الصغيرة في الجيب تنصرف سريعاً ولكن كميتها فيهِ تبقى قليلة على الدوام . اما اذا اراد الجسم ان يكون مقتصدًا حوَّل السكر الى مادة تعرف بالإينوسيت وهي حلوة نظيرهُ لكنها لا تذوب في الماء فتبقى طويلاً في الكبد والطحال والرئتين والعضل وتكثر في ابدان المدمنين على الاشربة الروحية

ومن المركبات الآلية الاخرى في الجسم "الكحول" ويوجد في الدم والصفراء والعضل والدماغ . "والصمغ" ويوجد في الغدد التي تفرز اللعاب وفي الرئتين . "والببسين" الذي يهضم الطعام في المعدة . ونوع او نوعان من "الخمير" . وكذلك "الاصبغة" التي تكسب الشعر والعينين الوانها . ومن المقرر انهُ لا قدرة للجسم على اصطناع هذه المركَّبات من المواد التي تتألَّف منها بل ترِد اليهِ جاهزةً . وغاية ما يعملهُ انهُ يحوّل مادة مركَّبة الى اخرى ابسط منها

ولا شبهة في ان "الدم" يُصنع داخل الجسم وان كانت طريقتهُ لم تعرف تماماً حتى الآن . واذا خسر المرء رطلاً من دمهِ استعاضت الاوعية عنهُ حالاً برطل من الماء تمتصهُ من الانسجة ثم تشحنهُ سريعاً بالعناصر اللازمة ليقوم مقام الدم المفقود . فمقدار الدم ووزنهُ ثابتان في الانسان الواحد لا يتغيران في حالة الصحة وان اختلفا غالباً باختلاف الاشخاص . وتقدر كمية الدم بجزء من اربعة عشر الى جزء من اثني عشر من ثقل الجسم المعتدل اي بين ٤/٣ ١٠ الرطل و٢/١ ١٢ رطل . ونسبتهُ اقل من ذلك في جسم المرأة وفي جسم الرجل السمين

ومن غريب اعمال الجسم انهُ يستخلص من المادة الواحدة — وهي الدم — جميع المواد اللازمة لبناء كل عضو من اعضائهِ المختلفة . فينتقي منهُ المركبات المشتملة على الجير والفصفور والاكسجين والهيدروجين والكربون لعمل "الهيكل العظمي" وهو دعامة اعضائهِ وسندها ويبلغ وزنهُ ١٤ في المئة او نحو سبع جسم الرجل و١٣ في المئة او نحو ثمن جسم المرأة اي انهُ ٢١ رطلاً في جسم الرجل المعتدل

ويتناول الجسم مواد اخر من الدم لتركيب "العضل" وهو يحتوي على نصف كمية الماء ونصف مادة البروتئيد في الجسم كلهِ ووزنهُ يبلغ ثلاثة اسباع الجسم اي نحو ٦٣ او ٦٤ رطلاً

ويستخرج الجسم "الدهن" من الدم تام التركيب في الغالب ويخزنهُ الى وقت الحاجة ثم يستعملهُ كغذاء . والدهن اكثر المواد تغيرًا في مقدارهِ فيختلف مقدارهُ في الشخص الواحد سريعاً باختلاف الصحة والهواء والطعام والعمل وغير ذلك من تقلبات الحياة . لكنهُ يعدَّل بين جزء من اربعين وجزء من عشرين من الجسم اي بين ٤/٣ ٣ و٢/١ ٧ من الارطال

وما بقي من وزن الجسم يقدر بنحو ٥٠ رطلاً كما تراهُ في الجدول الآتي على وجه التقريب

الهيكل العظمي	٢١	رطلاً
العضل	٦١	"
الدهن	٥	"

الدم	١١	رطلاً
الكبد والرئتان والقلب والطحال والنبكرياس والكليتان والاحشاء والدماغ والاعصاب والجلد والشعر و الاظافر	٥٠	"
والمجموع	١٤٨	"

والخلاصة ان بناء الانسان لجسمهِ يضادّ على خط مستقيم بناء الاشياء التي يعملها لنفسهِ. فهو يشيد القلاع مثلاً من الصخر الاصم لكي تظلّ قائمة اعواماً عديدة ويبني السفن من الحديد الصلب حتى تقاوي الدهر زماناً طويلاً اما جسمهُ فيبنيهِ ليتلف سريعاً فلا شيء ثابت فيهِ بل هو عرضة لتحليل وتجديد مستمرين ما عدا عظامهُ واسنانهُ. يعمّر البيت من الحجر والجير والرمل بغية ان تدوم راسخة فيهِ طالما هو مشيد الاركان ويقيم جسمهُ من مواد كهذهِ وغيرها ولكن لكي تقاتل بعضها بعضاً وتعمل الواحدة منها على هلاك الاخرى. وما الحياة سوى زحام وعراك

يوسف بشتلي

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما ياتي: (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستخار على المطوّلة

سباق الكاس الاميركية

حضرة العالمين الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

طالعت في مقتطف اكتوبر مقالتكم عن سباق اليختين الانكليزي والامركاني في ميناء نيويورك في شهر اغسطس الماضي ولما كنت قد شممت منها رائحة ميلكم الى الظن ان اليخت الانكليزي شمروك الثالث اقلّ سرعة من اليخت الاميركاني جئتكم بهذه الاسطر لاذكر ما علمتهُ عن هذا السباق من ارباب الفن الذين يعوّل عليهم في هذه الامور

ان هذا السباق لا يدل علي ان اليخت الانكليزي اقل سرعة من اليخت الاميركاني . وما دامت الشروط المفروضة على ما هي عليهِ الآن لا يؤمل نجاح يخت انكليزي لسببين مهمين —

الاول لان احد الشروط يقضي بان يبنى اليخت في بلاد الانكليز ويؤتى بهِ الى نيويورك على قماشهِ (كما هو معروف في اصطلاح البحرية) وان لا تجرهُ باخرة الاَّ ان سكنت الريح اياماً محدودة وهذا نادر جدًّا في الاوقيانوس الاتلانتيكي. ولا يخفى على احد ان يخت السباق كفرس السباق فكما ان تكون هذه ضئيلة نحيفة لا تصلح لجر الاثقال او الركض على الارض الوعرة بل على ارض السباق المستوية كذلك اليخت يبنى من موادّ خفيفة يؤثر فيها اقل طارىءٍ يطرأ عليها . فسفر اليخت من بلاد الانكليز الى اميركا على قماشهِ مدةً لا تقل عن خمسة عشر يوماً في الاوقيانوس يضرُّ بهِ ضررًا عظيماً لان امواج المحيط الهائلة تلطمهُ كل يوم الف لطمة والرياح تدفعهُ من جهة الى اخرى فلا يصل الى اميركا الاَّ وقد تغيرت خطوطهُ الاصلية واختلّ الحساب الذي بني عليهِ . ويعلم القارىءُ مقدار ذلك الخلل مما طرأ على احد هذه اليخوت اذ وصل الى اميركا وقد اعوجّ كالقوس فاصبح اقل صلاحية للغرض الذي عمل لاجلهِ . فان تغيرت شروط السباق الحالية وسُمح بارسال اليخت الى اميركا على ظهر احدى البواخر ليصل على حالتهِ الاصلية قوي الامل بعودة الكاس الى بلاد الانكليز

والثاني ان ربان اليخت الانكليزي وبحريتهُ هم اقل خبرةً باحوال ميناء نيويورك من سابقيهم الاميركان ولهذا يسهل الفوز لهؤلاء لانهم ادرى بساعات هبوب الريح والجهات التي تهب منها ومدة دوامها وغير ذلك من الامور التي تتعذر معرفتها على الغرباء غير الخبيرين باحوال ذلك الميناء

وربما كان هناك سبب ثالث وهو ان الاميركان يبنون عدة يخوت يمتحنونها اولاً ويعينون السابق منها لمسابقة اليخت الانكليزي ولا يخفى على اللبيب اهمية ذلك . فترى مما تقدم ان هذا السباق ربما دام الى ما شاء الله ولا يكون فيهِ الفوز للانكليز ما دامت شروطهُ هي هي . على ان ارباب السفن يعلمون ان هذا لا يبرهن عجز الانكليز عن بناء يخت يضاهي اليخت الاميركاني في السرعة

وقد انبأنا البرق حديثاً ان السر توماس لبتون اقترح ان يجري سباق بين اليخت الانكليزي والاميركي من اميركا الى انكلترا لتحقيق افضلية احدها . فاذا اجيب اقتراحهُ فسيرى العالم ان انكلترا كانت ولا تزال ربة البحر مهما ارتقى غيرها من الامم في علوم البحر. واقبلوا فائق احترامي

الاسكندرية احد القراء

العربية والمدرسة الكلية

طالعت الخطبة الانيقة التي فاه بها حضرة الاستاذ جبر افندي ضومط عن اللغة العربية في المدرسة الكلية ونُشرت في الجزء الاخير من المقتطف فاعجبت بالادلة التي اقامها لتبرير ما فعلتهُ المدرسة من نقلها التعليم الى اللغة الانكليزية ولا اقول انهُ الجبان خلا بارض فانهُ فارس الجدَل وإمام البحث ويبعد عن الظن انهُ لم يفرض قيام المنتقدين والمعارضين ولكن هل ذكر كل ما يُحتَمل انهم يعترضون بهِ عليهِ ودفع حججهم باقوى منها حتى لا يبقى سبيل لقائل. لننظر في ما احتجَّ بهِ نظر المنصف قال: "انهُ لما رأت عمدتنا ودائرة مدبريها بعد اربع عشرة سنة من تأسيسها ان من خرجوا منها وهم نحو من ستين بكلورساً وما يماثل هذا العدد من الاطباء ممن درسوا في اللغة العربية يكفون في سد حاجة البلاد الوقتية . . . وان ما زاد على هذا العدد مالم يكونوا متقنين لغة اجنبية لايجدون لهم مراكز يشغلونها لا في الشام ولا في غيرها بل يصبحون عالةً على البلاد لم ترَ افضل من استبدال لغة التعليم فجعلتها من حينئذٍ الانكليزية بدلاً من العربية"

وهذا تعليل حسن لكنهُ اعرج من وجهين الاول ان مدبري المدرسة ابدلوا العربيَّة بالانكليزية لانهُ تعذَّر على مَن جدَّ من اساتذتهم الاميركيين اتقان العربيَّة ليعلّموا بها ويؤلفوا ولم يتيسَّر للمدبرين ان يتخذوا الاساتذة من الوطنيين . والثاني ان الانكليزية لم تكن شائعة حينئذٍ في سورية ولا في البلاد التي يرجى ان يصل اليها السوريون ولا كانت المهاجرة الى اميركا شائعة ولا كان المدبرون انبياء حتى ينبئوا باحتلال الانكليز لمصر وبقائهم فيها وتدويخهم للسودان واستيلائهم عليهِ. ولا أُنكر ان نتيجة هذا الابدال جاءَت حسنة جدًّا ولكنها لم تكن مقصودة حينئذٍ ولو قصدت اليها عمدة المدرسة لابدلت العربية بالفرنسوية لان الحاجة الى الفرنسوية كانت حينئذ امس من الحاجة الى الانكليزية

ثم لو بقيت سورية آخذة في الارتقاء كما كانت في السنين الاولى من عهد انشاء المدرسة ولو بقيت مصر والسودان كما كانتا قبل الاحتلال او لو فاز عرابي وانشأ في مصر مملكة عربيَّة — وكل ذلك كان اقرب حصولاً حين ابدال العربيَّة بالانكليزية مما حصل بعده' فماذا كان يفعل ابناء المدرسة الكلية الآن بلغتهم الانكليزية . وغاية ما يقال في هذا الموضوع ان مدبري المدرسة اضطروا الى عمل بحكم الضرورة حينما استعفى بعض اساتذتها ثم طرأ على مصر والشام طوارئ غير منتظرة جعلت ذلك العمل صالحاً لتلامذتها ولو خسرت بهِ بلادهم خسارة قد تفوق ما كسبوه'

احد ابناء العصر الذهبي

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

تمريض المرضى

تكسر العظام

نعني بتكسر العظم كسرهُ الى قطعتين او اكثر . والعظام المستطيلة اكثر تعرضاً للتكسر كما في عظام الساق والذراع . ولكن الجمجمة قد تتكسر وكذلك الاضلاع والخطر من تكسرها اشد من الخطر من تكسر السوق والاذرع لانهُ اذا دخلت شظايا العظم الى الدماغ او الرئتين فقد تكون النتيجة مشومة

وقد ينكسر العظم الى قطعتين فقط او ينكسر الى عدة قطع فتخرق اللحم . وشرٌّ من ذلك ان يتحطم العظم فيتحول اللحم حولهُ الى هلام وتنقطع الشرايين وينزف دم المصاب حتى الموت ما لم يكن بقربهِ احد خبير بايقاف النزف

وايقاف النزف في هذه الحوادث يحفظ الحياة ولكنهُ لا يحفظ الاعضاء . لانهُ اذا تحطمت العظام وتمزَّق اللحم وانقطعت الشرايين فلا يبقى الاَّ البتر . وسآتي على كيفية ايقاف النزف في فصل آخر

ويمكنك ان تعرف بسهولةٍ ما اذا كان العظم قد انكسر حقيقةً او لم ينكسر لانهُ اذا انكسر يتغير شكلهُ في محل الكسر ويصير اقصر مما كان ويمكنك ان تسمع صوت اطراف العظام المنكسرة

وحينما يعرض عارض مثل هذا لا يبقى الاَّ ان تمنع الخطب من التفاقم . مثلاً اذا كان الكسر بسيطاً اي اذا انكسر العظم الى قطعتين فقط فيمكنك ان تمنعهُ من ان يصير مركباً . وذلك بان تمنع العظام من التكسر الى قطع متعددة وتمنع شظاياها من خرق اللحم والجلد وإحداث الالتهاب . لان ذلك يمنع الجرَّاح من تجبير العظم المكسور . فاول ما عليك ان تفعلهُ اذاً المبادرة الى تثبيت العضو ومنعهُ عن الحركة

هذا هو الوقت الذي يجب على المرء ان يستعمل فيهِ عقلهُ والمواد التي تصل اليها يداهُ

لنفرض ان رجلاً سقط عن جوادهِ وهو يصطاد فكسر ساقهُ . فافضل ما يمكن لرفاقهِ حينئذٍ عملهُ ان يأتوا بقضيبين ويضعوها على جانبي ساقهِ المكسورة ويربطوها بالمناديل . ثم يخلع احدهم رداءهُ ويضع المصاب عليهِ وينقلونهُ الى اقرب منزل او يعود احدهم ويأتي بمركبة فيضعونهُ فيها ويضعون لوحاً من الخشب تحت الساق المكسورة ليسندها ويمنعها عن الاهتزاز ويسيرون بهِ الى البيت

لنفرض ايضاً ان رجلاً كسر ساقهُ او ذراعهُ في احد شوارع المدينة . فاقرب شيءٍ يمكن عملهُ استعمال المظلات او العصي او الجرائد السميكة بعد لفها . ولكن مهما فعلت لا تحمل المصاب الاَّ على لوح او ما اشبه . حدث من عهد قريب ان رجلاً مرَّ قطار سكة الحديد على ساقيهِ فسحقهما فحملهُ رجل على ظهرهِ الى المستشفى وساقاهُ متدليتان في حالة يقشعرّ لها البدن والدم ينزف منهما . ولا خلاف في انهُ كان لا بدَّ من قطع ساقيهِ ولكنهُ كان قد فقد مقدارًا وافرًا من الدم فمات بعد ساعات قليلة

فلو اعتُني بهذا الرجل من اول امرهِ ونُقل الى المستشفى بطريقة مناسبة لنجا من آلام مبرحة وسلمت حياتهُ

واذا أُعيد العظم الى مكانهِ فيسهل اذ ذاك تمريض المصاب لاسيما اذا وُضع العضو في الجبس او الجبار . فاذا كان العضو المكسور ساقاً وجب ان لا يكون الفراش كثير الليونة وعلى المصاب ان يبقى في الايام الاول مضطجعاً على ظهرهِ مستقيماً واما بعد ذلك فيمكنهُ ان يتحرك في الفراش ويقلب من جانبٍ الى آخر حينما يراد ترتيب فراشهِ وتنظيفهُ وبعد ان تضع يديك تحت الساق المكسورة وترفعها

واذا لم تتخذ الوسائط اللازمة في مداراة المريض فقد تصيبهُ قروح الفراش لان الجبس او الجبار لا ينزعان قبل مضي ستة اسابيع على الاقل . فعليك اذاً ان تتخذ كل التحوطات التي ذكرتها لك لمنع قروح الفراش . واذا لم يمكنك الحصول على وسادة هوائية فاصنع لك وسادةً لينة مستديرة مثقوبةً في وسطها

اما من جهة الطعام فيمكن للمصابين تناول ما يشاؤُون ولكن لانهم لا يكثرون من الرياضة فالافضل لهم ان لا يكثروا من الاطعمة

انكسار الجمجمة

اذا كان من السهل تمريض رجل انكسرت يدهُ او رجلهُ وجُبّرت فليس من السهل تمريض رجل انكسر رأسهُ ولا سيما اذا كان المكسور قاعدة الجمجمة وكان هناك نزف دمٍ في الدماغ

ويستطيع الطبيب ان يعرف ما اذا كانت الجمجمة قد انكسرت او لم تنكسر ولكنهُ لا يستطيع ان يتأكد ما اذا حصل عاهة او نزف في الدماغ الاَّ بعد مضي ٢٤ ساعة. ويبني حكمهُ في ذلك على ما تخبرهُ بهِ من مراقبتك لحالة المصاب. فاسمح لي اذاً ان اخبرك ما الذي يجب ان تراقبهُ وتطلع الطبيب عليهِ

اولاً لاحظ ما اذا كان الدم يخرج من الفم او الانف او الاذن. وقد يدوم خروجهُ ٢٤ ساعة ويتبين وجود النزف الدماغي من طول الوقت الذي يدوم فيهِ خروج الدم ولو كان ينقط نقطاً. فيجب عليك اذاً ان تلاحظ المدة التي يدوم فيها خروجهُ

ثانياً لاحظ ما اذا تبع الدم وهو جارٍ من الانف والفم والاذن سائلٌ ابيض صافٍ

ثالثاً لاحظ ما اذا كان العليل يحاول البلع فان كان كذلك فلا بد من وجود شيءٍ يبلعهُ. فقد يسيل الدم الى الحلق ويجري منهُ الى المعدة فلا يظهر للعين ولكن الملاحظ المدقق يكشف حالاً حركات البلع

وفي كل عوارض الرأس يلقى المصاب على ظهرهِ وتوضع وسادة واطئة تحت رأسهِ ويمال رأسهُ قليلاً الى احدى الجانبين وعليهِ ان يمتنع عن كل حركة

ويجب ان لا تسمح لاحد بدخول غرفتهِ وعليك ان تتحاشى الحديث معهُ

ولا يغذى المصاب الاَّ بالاطعمة السائلة واذا امكن تبريدها فلا بأس. وناولهُ الطعام بالملعقة. والقليل من الطعام خير من الكثير منهُ

وقد يأمر الطبيب بكيس من الثلج فلا تنسَ ان تكسر الثلج الى قطع صغيرة وتغسلها بالماء لتذهب باطرافها الحادة ولا تكثر من وضع الثلج مرةً واحدة لئلاَّ تثقل الرأس. ثم لاحظ الامور التالية وهي

اولاً ما اذا كان المصاب واعياً او كان ثمت شيء من دلائل الشعور

ثانياً الحركات التي يتحركها بارادتهِ واي عضو يتحرك وفي اي جانب من جسمهِ

ثالثاً ما اذا اصابتهُ نوب او تشنجات واين وكيف تبدأُ وهل هي في الابهام فان هذا يسهّل على الطبيب معرفة النقطة التي اصابها الاذى في الدماغ. واهم هذه كلها الحركة الاولى التي يتحركها المصاب

ولاحظ ايضاً لون المصاب وهل تحول لونهُ الى البياض الشديد او الى الزرقة او غير ذلك

انكسار السلسلة الفقارية

قد ينقطع الحبل الشوكي بسبب حمل ثقيل او سقطة عنيفة او غير ذلك. والفقرة السادسة

من السلسلة الشوكية معرضة للانكسار اكثر من سواها . واذا انقطع الحبل الشوكي بطل الحس في الجزء الاسفل من الجسم بانقطاع الاتصال بينهُ وبين الدماغ فتبطل الحركة

واذا حدث الانكسار فوق الفقرة السادسة فنتيجتهُ الموت العاجل . واذا ابنت لك ان السلسلة الشوكية (وهي الانبوب الطويل الذي يحيط بالحبل الشوكي) قد تنكسر وحدها ويبقى الحبل الشوكي داخلها سالماً اتضح لك انهُ من المهم جداً ان ينقل المصاب بكل تأنٍ واعتناء لانهُ اذا زادت الفقرات انكساراً ودخلت شظاياها الحبل الشوكي فالنتيجة اما الموت العاجل او انشلال الاعضاء السفلى

اما تمريض المصابين بهذه العوارض فانها من اصعب الامور . وقبل ان تضع المصاب على الفراش ضع تحتهُ ملاءة مطوية اربع طيات لكي يمكنك ان ترفعهُ عليها في الفراش ولكن لا لزوم لهذه الملاءة الا اذا مست الحاجة اليها فيقف على كل من جانبي الفراش رجل ويمسك بطرفي الملاءة ويمسك ثالث برجلي المصاب فيرفعهُ الثلثة بكل اعتناء وتأنٍ

ولا بد من ان يوضع المصاب على ظهرهِ مستوياً ويوضع تحت راسهِ اوطأ الوسائد وتجد الممرضة اعظم صعوبة في كيفية وضع الكرسي (المستعملة) تحت المصاب والافضل ان لا يوضع الكرسي تحتهُ ولاسيما في اول الامر بل تضع يديك تحت عجزهِ وترفعهُ بلطف ثم يأتي آخر بخرقة سميكة ناعمة ويضعها تحتهُ حتى يقضي حاجتهُ عليها ولا بدَّ من ان يغسل عجزهُ جيداً وتتخذ كل الوسائل الواقية من قروح الفراش

امنع المصاب عن كل حركة غير ضرورية واعطهِ في اول الامر غذاء قليلاً وخفيفاً

مرض بُط

ان هذا الداء العياء ويسمَّى مرض بُط نسبة الى الدكتور سيڤل بُط الذي وصفهُ اولاً يكثر حدوثهُ على اثر آفة تلحق السلسلة الفقارية لاسيما في الاطفال والفتيان والفتيات في سني نموهم ولكنهُ قد يصيب ايضاً الاولاد المصابين بالتدرن حتى من غير ان يعرض لهم عارض . فاذا عرض لعظم شيء اضرَّ بها او اذا ضعفت السلسلة الفقارية بسبب مرض حتى لم تعد تستطيع حمل الجسم مستقيماً فان ثقلهُ يدعو الى انحنائها فيشب الولد وهو محدودب الظهر

وفي بداية الامر لا تبدو لهذا الضعف دلائل خارجية ولكن يشكو الولد تعباً والماً حينما يتحرك فاذا سقط منهُ شيء فلا ينحني ليلتقطهُ بل يقعد القرفصاء ويلتقط ما سقط منهُ ثم ينهض . فاذا بدت عليهِ هذه الاعراض فعلى اولي امرهِ ان يبادروا ويدعوا طبيباً لفحصهِ لانهم اذا اهملوا امرهُ تحمل آلاماً شديدة كان يمكن اجتنابها وشب محدودب الظهر

وتقتصر مداواة هذا الضعف غالباً على الادوية المقوية والاطعمة المغذية والاكثار من تناول اللبن والبيض وما شابههما وقضاء الوقت في الهواء النقي ولكن بدون ترويض الجسم على الاطلاق . ومن افضل طرق المعالجة ان يبقى العليل مضطجعاً على ظهرهِ ولا تسمح لهُ ان يجلس في سريرهِ ولا دقيقة واحدة . ويجب ان يكون الفراش مستوياً والوسادة واطئةً وان يستلقي على الفراش مستقيماً . وقد يضعهُ الطبيب في جبار فيضطر الى البقاء بغير حركة ولكن يجب ان تنزع الجبار كل يوم ويغسل جسمهُ كلهُ وهذا يقضي عليهِ وعلى والدتهِ او ممرضتهِ بالتعب الشديد لان الولد يجب ان يتسلى ويلهو والاَّ فتكون حياتهُ عبئاً ثقيلاً عليهِ

ويجب ان يخرَج سريرهُ كل يوم الى حديقة او الى شرفة ويوضع في الشمس شتاءً وفي الظل صيفاً

وقد يحدث خراجات في اربية الفخذ فيجب ان تُفتح وتنظف كل يوم وتضمد . واذا نقل المصابون الساكنون بعيداً عن البحر الى السواحل البحرية والساكنون على السواحل البحرية الى الجبال ينتج عن ذلك نفع جزيل . ولكن افضل العلاجات واحسنها الراحة التامة والصبر الجميل ولا سيما في البالغين الذين اصابهم هذا المرض لعارض عرض للسلسلة الفقارية . وواضح ان ما يكابدهُ البالغون اشد مما يكابدهُ الاولاد لان البالغين يتألمون من اجسامهم ومن افكارهم ايضاً

الحرق والسلق

لقد تعجب من قولي ان السلق الواسع شرٌّ من الحرق الضيق ولو كان الحرق اعمق من السلق . والسبب في ذلك ان من وظائف البشرة مساعدة الكليتين بالافراز فكلما اتسع السطح المتضرر كثر العمل على الكليتين وبالنتيجة زاد ما يكابدهُ الجسم من التعب

اذا رأيت انساناً لعبت النار بثيابهِ فافضل ما تفعلهُ ان تبادر الى ملاءة او سجادة وتلفهُ بها . هذه هي الطريقة الوحيدة لاطفاء مَن علقت النار بثيابهِ بدون ان تسبب لهُ اذًى . واكثر الناس يفقدون رشدهم اذا لعبت النار بثيابهم فيجرون على غير هدًى ولا يعلمون انهم بفعلهم هذا يزيدون اللهيب قوةً بتهويتهِ . فاذا لم يكن على مقربة ممَّن اصابتهُ النار احد فعليهِ ان يبادر الى شيءٍ يلف بهِ جسمهُ فتنطفئ حالاً . وهذا العمل يمنع امتدادها ولكنهُ لا يرد ما قد سببتهُ من الاذى . فاذا كان الضرر قد حصل فهذا ما عليك فعلهُ . انزع الثياب عن المصاب بكل تأنٍّ واعتناءٍ لكي لا ينتزع الجلد معها ثم لفهُ ولا سيما القسم المحروق او المسلوق منهُ بثيابٍ لمنع الهواء عن مس الجلد المحروق وضع قليلاً من مسحوق الحامض البوريك او ماء الورد في ماءٍ سخن وضع العضو المحروق في الماء واغسلهُ باعتناءٍ وامسحهُ بخرق من الشاش الناعم او

القطن المندوف واغمس خرقة بقليلٍ من زيت الزيتون النقي وضمد بها الجراح ثم ضع فوقها خرقةً ناشفةً واربطها الى ان يحضر الطبيب

وقد يأمر الطبيب بغسل الحروق يوميًّا في محلول البورق الفاتر او زيت اليوكالبتوس او ما شابههُ . فعليك ان تستعمل خرقةً ناعمة نظيفة او نسالة . مُد الدهون عليها بسكين نظيف مدًّا متساويًا واطوها وضعها في علبة نظيفة من التنك لتستعملها عند الحاجة. وتحتاج ايضًا الى قطن مندوف وربائط . ولا تدع الضماد يجف على الجرح فيسبب الماً مبرحًا وضررًا بليغًا. فاذا اردت ابدال الضمادات فبلّ الحرق اولاً لكي لا تنزع الجلد عند نزعها. واذا كانت الحروق كبيرة جدًّا فالمحروق في خطر بسبب وقوف القلب عن العمل . فعلى اولي امرهِ ان يعتنوا بهِ كل الاعتناء ويغذوهُ دائمًا باللبن والشاي . وقد تدعو الحاجة الى المنبهات اذا هبطت درجة حرارتهِ او أُغمي عليهِ

الاولاد ملوك الملوك

مهما علا شأن الملك او الامير او الوزير او العالم الكبير فان الطفل الصغير يملك عليهِ كما يملك هو على اوضع الناس واحقرهم. وقصص الملوك والامراء والوزراء والعلماء مع اولادهم واولاد اولادهم اكثر من ان تحصى ويستدلُّ منها كلها على ان الشأن الذي يكتسبهُ الانسان من سنهِ او مقامهِ او علمهِ واختبار يغفلهُ الطفل الصغير وينظر اليهِ كانسان مجرَّد عن كل هذه الزوائد وهو ينظر الى نفسهِ كذلك في حضرة الاطفال فيخلع ثوب العظمة ويعود الى الفطرة الاولى

اذكرنا هذا الموضوع فصلٌ قرأناهُ الآن في جريدة المرآة اليومية (الدايلي مرور) عن ملكة ايطاليا الشابة فان لها طفلتين وهي تترك ابهة الملك لاجلهما مع ما عندها من الخدم والحشم فلا يتكلم نساءُ ايطاليا عن حللها الفاخرة ولياليها الراقصة عشر معشار ما يتكلمنَ عن هاتين الطفلتين واعتنائها بهما . واذا زارها نساءُ ايطاليا فضلت الكلام مع الحديثات السن منهنَّ وكان كلامها معهنَّ على تربية الاطفال . وهي تقضي مع طفلتيها كل الوقت الذي تمتلكهُ وتقوم اليهما في الليل مرتين على الاقل

ملكة ايطاليا

رأَينا بعد كتابة ما تقدم ان نلخص هذا الفصل كلهُ لان الملكة شرقية على نوع ما ويود نساءُ المشرق قارئات المقتطف ان يعلمنَ ما يكون شان اخواتهنَّ الشرقيات اذا تعلمنَ وتهذبن مع بنات الملوك ولبسنَ التاج مثلهنَّ

هي ابنة امير الجبل الاسود وقد صاهر ابوها الملوك مع ان سكان بلاده اقل من سكان جبل لبنان عدداً . ولدت سنة ١٨٧٣ وربيت في بيت ابيها مع مربية سويسرية علمتها اللغة الفرنسوية . وأُرسلت الى مدرسة سمولنا في بطرس برج وعمرها اثنتا عشرة سنة فدرست هناك اللغة الروسية والالمانية وعلوم الادب والتاريخ والموسيقى والتصوير ثم عادت الى الجبل الاسود حيث اتمت دروسها مع ابيها ومع سندسك الشاعر السربي . وقد ورثت من ابيها الميل الى نظم الشعر فنظمت اشعاراً كثيرة بالفرنسوية والروسية نشرتها في المجلة الروسية نداليا وفي غيرها من المجلات الروسية والفرنسوية تحت اسم مستعار معناهُ الفراشة الزرقاء

وهي مولعة بالصيد والرماية والالعاب الرياضية التي تجلو الصدر وتجيد الصحة . وقد سافرت مراراً الى درسدن وفينا وفنيس لدرس التصوير والتقت ببرنس نابلي ملك ايطاليا الحالي في احدى سفراتها وكان راغباً عن الزواج فلما رآها احبها واحبتهُ واقترنا سنة ١٨٩٦ . ونظم لها الشاعر سندسك السربي ابياتاً خاطب زوجها بها فقال ما ترجمتهُ

يا ابن الملوك الصيد سبط الخالد الا — قوال والافعال والآثارِ
يا ابن الكريم ومالك القطر الذي يسمو برونقهِ على الاقطارِ
قد جئتنا فسلبتَ اثمن درَّةٍ من تاجنا في اعين النظَّارِ

والحق يقال انها درَّة ثمينة وهي زوجة ووالدة كما كانت وهي ابنة . وقبل ان تبوأَ زوجها عرش الملك كان يقضي اكثر وقتهِ معها وكانت ايامهما كلها نعيماً وحبوراً لاشتراكهما في الاذواق والمشارب فهو يحب بساطة المعيشة ويكره ابَّهة الملك وهي كذلك مفطورة على حب البساطة وتكره الظهور والابَّهة فقضيا اكثر اوقاتهما في البحر اما في البحر المتوسط او في البحر الشمالي . ولم تتغير اطوارها بعد ان صارت ملكة ايطاليا . وخلاصة تاريخها من حين تزوجت الى الآن انها زوجة محبة لزوجها وامٌّ رؤُوف على ابنتيها

وهي سوداء الشعر والعينين اجتمع فيها لطف امها وهمة ابيها

سلطة المرأة

كتب بعضهم في جريدة المرآة اليومية يقول ان الرجل الخاضع لسلطة المرأة يهزأ بهِ الرجال دواماً وقد يهزأُ بهِ النساء ايضاً . ولا شبهة انهُ ليس من الحكمة وسداد الرأي ان يجعل الرجل رأيهُ خاضعاً لرأي زوجتهِ وارادتهُ طوع ارادتها لاسيما وانها غير مسؤُولة عما يفعل مثلهُ . فانهُ يجب على المرء ان يكون حرًّا في افعالهِ ما دام هو مسؤُولاً عنها لكن كل من ينكر فائدة آراء

النساء ولاسيما اذا تعلمنَ وتهذبن كمن ينكر نور النهار . وتأثير النساء في مصالح الناس للخير لا للشر لانهنَّ اقرب الى الفضيلة من الرجال واذا تعلمن وزاد الاعتماد على آرائهنَّ زاد النفع وقل الضرر

وقد قيل ان التي تهزُّ السرير تهزُّ العالم وهو قول مأثور والادلة على صحتهِ كثيرة لان للمرأة يداً في كل مصالح الناس واعمالهم . والغالب انها هي التي تدير اعمال الرجال وتحكّم في نتائجها . وما من رجل استشار امرأتهُ في اشغالهِ وتبع مشورتها ثم ندم على ما فعل . وهذا امر قلما ينكرهُ احد

واذا زاد علم المرأة واختبارها زاد شعورها بانها مسؤولة عما تشارك بهِ زوجها من الآراء والافعال وبانهُ يُطلَب منها ان تكون عضواً عاملاً في الهيئة الاجتماعية وفي كل مصالح الناس بل ان مستقبل نوع الانسان متوقف عليها وهي التي تفرغ عقول الناس وافكارهم في القالب الذي تختارهُ . فامامها مطلب من اعز المطالب واسماها وقد يعزُّ منالهُ على كثيرات من النساء ولكن مجرَّد النظر اليهِ يرقي آمال المرأة ويشرّف مقاصدها

الحديث على المائدة

يقول علماء الفسيولوجيا ان الحديث على المائدة يسيغ الطعام ويسهل الهضم . ولعلَّ سبب ذلك انهُ يمنع انشغال البال الذي يوجب توارد الدم الى الدماغ وقلتهُ في المعدة . والغالب ان النساء اميل الى الحديث من الرجال حتى قيل ان الله لما خلق آدم وحواء ووضعهما في الفردوس انزل عليهما اثنتي عشرة سلة من الكلام فاسرعت حواء واخذت تسع سلال منها وابقت ثلاثاً لآدم الاَّ ان الابناء يرثون امهاتهم والبنات آباءهنَّ ومن ثم تساوى الفريقان في الميل الى الحديث رجالاً ونساء

والمرأة التي تولم وليمة في بيتها يكون همها الاكبر اذا ارادت ابهاج ضيوفها ان تفكههم بالحديث . فاذا لم تستطع ذلك ولا كان في بيتها من يستطيعهُ وجب عليها ان تدعو واحداً مشهوراً بطيب الحديث وفكاهتهِ والاَّ فاذا جلس المدعوون على المائدة ولم يكن بينهم من يسامرهم ويطايبهم بحديثهِ امست وليمتهم وضيمة مأتم او كان مجتمعهم بمثابة مطعم يأكل فيهِ التجار مسرعين وكلٌّ منهم مهتم بتجارتهِ

قالت السيدة ماري مري في نبذة كتبتها حديثاً في هذا الموضوع ان النساء قد يفقن الرجال في طيب الحديث ويغنين عنهم ولاسيما اذا تكلمن على المواضيع التالية وهي الفنادق

والطبخ والثياب فان الكلام على الفنادق يقود الى الكلام على الاسفار وما يجدهُ الانسان فيها لاسيما وانهُ يكثر ان يكون بعض المدعوين من الذين سافروا فيأْخذون يصفون الفنادق التي نزلوا فيها . والكلام على الطبخ والوان الطعام يجعل الالكن فصيحاً فيشترك اكثر المدعوين في الحديث . واذا دار الكلام على انواع اللباس فمدح الرجال ازياء النساء والنساء ازياء الرجال زاد الوفاق والوئام بين الفريقين

باب التقريظ والانتقاد

واقعة السلطان عبد العزيز

الراسخ في الاذهان ان الترك رجال سيف وسيادة لا يعنون بغير الحرب ولا يرتاحون الّا الى الامارة وانهم اذا ذكرت دولتهم اعماهم الغرض فلم يروا لها عيباً . لكن من يطالع نفثات اقلامهم يجد انهم اهل قلم كما انهم اهل سيف وانهم من اقرب الكتَّاب الى الانصاف . ولدينا الآن كتاب تاريخي وضعهُ حضرة احمد صائب بك الذي كان ياوراً المختار باشا الغازي جعل مدارهُ واقعة السلطان عبد العزيز وتكلم فيهِ عن معايب ولاة الامور بصراحة لم نرَ مثلها في كتاب عربي ولا في جريدة مهما كانت متغالية في انتقاد اعمال الولاة العثمانيين . عرفنا مؤلف هذا الكتاب وهو شهم فاضل يتَّقد غيرة على دولتهِ وبلادهِ فاذا كان امثالهُ كثيرين بين ابناء الاتراك فلا يعقل انهم يرضون بهذه الحال زمناً طويلاً

والكتاب يبتدئ من عهد السلطان سليم الثالث ويذكر نكبة الانكشارية التي سماها بالوقعة الخيرية ويتدرَّج في وصف احوال الدولة السياسية والاجتماعية الى خلع السلطان عبد العزيز . وقد نقلنا منهُ فصلاً في هذا الجزء للدلالة على طريقة بحثهِ وهو مترجم الى العربية بقلم محمد افندي توفيق جانا

الاخاء المتين بين العلم والدين

هو محاورات بين شيخ وفيلسوف وقسيس وضعهُ حضرة الاب الفاضل الخوري جرجس فرج صفير لكي يثبت ان العلوم الطبيعية لا تناقض الدين المسيحي . وقد سرَّنا ما قرأْناهُ في هذه المحاورات وهو ان مجالس التفتيش لم تنشأْ بامر الكنيسة الكاثوليكية ولا برضاها ولكن الكنيسة

قبلت ان تعترف بها ثم لما رأَت ان ملكة اسبانيا تخترق حرمتها وتسيء استعمالها استرجعت براءتها ونقضتها من اساسها . الاَّ ان ما قرأْناهُ من تاريخ هذه المجالس لا ينطبق على ذلك تمام الانطباق . ومهما يكن من امر انشائها وسيرها فقد أُلغيت والحمد لله . ولا بدَّ من ان يزيد الصلاح ويزيد العلم ما داما نافعين لنوع الانسان جرياً على سنة الخالق في خلقهِ وهي بقاء النافع وزوال الضار . ويظهر لنا ان الجدال لا يُقنع ولا يفيد وان رجلاً يبذل وسعهُ في تهذيب الاخلاق ولو بسيرتهِ يفيد في نصرة مذهبهِ اكثر من مئات يحاولون تعزيزهُ بالادلة والبراهين . فحبذا لو اشتغل كتَّابنا الفضلاء عن الجدل بغيرهِ مما يفيد البلاد والعباد

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا أن نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤَالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسببٍ كافٍ

(١) تاريخ تلماك

مصر . ابرهيم افندي رزق . ذكرتم في الجزء الاخير من رواية كليوباطرة المنشورة في المقتطف ان امرأَة ديون كانت تتحدث مع صاحباتها بحوادث تلماك . ومعلوم ان رواية تلماك الفها فنلون في اواخر القرن الثامن عشر (ولو انها مرتبطة بالحوادث المذكورة في ايلياذة هوميروس) ورواية كليوباطرة تشتمل على حوادث وقعت قبل المسيح بزمان اي قبل ان تظهر رواية تلماك للوجود وهو نقص ظاهر في رواية كليوباطرة ربما فات المؤَلف

ج لا شبهة في ان الرواية التي صنَّفها فنلون مبنية على القصة المذكورة في هوميروس فقد ذكر في هوميروس ان تلماكس هو ابن اوذسيوس (وباللاتينية اولسس) وبنلوبي وكان طفلاً لما تركهُ ابوهُ ومضى لمحاربة تروادة فشب في غيبة ابيهِ وصار رجلاً لان اباهُ غاب عشرين سنة واتت الالهة اثينا الهة الحكمة وتزيت بزي منطور وسارت معهُ للتفتيش عن ابيهِ فزار بيلوس وسبرطة ثم عاد الى اثيكا حيث وجد اباهُ في زي متسوّل وسار معهُ وقتل خطَّاب امهِ . فالقصة قديمة من عهد هوميروس او من قبل عهدهِ وكان اولاد اليونانيين يستظهرون اشعار

هوميروس ويتسامرون بها واخذ فنلون هذه القصة القديمة وبنى عليها كتابهُ المشهور . ولم يذكر ابيرس مصنف رواية كليو باطرة كلمة تلماك بل كلمة اولسس فابدلناها في الترجمة بكلمة تلماك لانها اشهر عندنا والمراد واحد

(٢) جبن جرافير

ومنهُ . كيف يصنع الجبن الفرنسوي جرافير

ج رأينا هذا الجبن يصنع في مجابن سويسرا من حيث يشتريهِ الفرنسويون ووصفنا كيفية عملهِ بالاسهاب كما رأيناها مرأى العين . وتجدون هذا الوصف في الصفحة ٧٦٥ من المجلد السابع عشر من المقتطف

(٣) عملهُ في القطر المصري

ومنهُ . هل يمكن صنع هذا الجبن في القطر المصري

ج لا نظن الاَّ اذا برّد مكان عملهِ تبريداً صناعيًّا وحينئذٍ تكثر نفقاتهُ ويمتنع عملهُ من باب تجاري

(٤) رحلة فرغوسن

ومنهُ . هل رحلة فرغوسن في اواسط افريقية بالبالون وضعية او حقيقية

ج نظن انكم تريدون رواية ذكر فيها رحلة رجل بالبالون في افريقية ولم نطَّلع على هذه الرواية ولكن لا بدَّ من ان تكون موضوعة لانهُ لم يستتب لاحد حتى الآن ان يرحل في بالون يسير بهِ كيفما شاء

(٥) دواء حب الصبا

السنبلاوين . توفيق افندي لولي . ماهو الدواء لازالة حب الصبا من الوجه

ج لحب الصبا ثلاثة اشكال الاول البسيط وهو الدرجة الاولى او هو حب الصبا قبلما يلتهب . ويعالج بعصر الحبوب الصغيرة واخراج المادة الدهنية منها ودهن الاقسام المصابة بمحلول بي كلوريد الزيبق وتكرار الغسل بالماء الحار

الثاني الوردي وهو يصيب الانف واكثر ما يصيب المولعين بشرب المسكرات ويعالج بالامتناع عن شرب المسكرات وباصلاح الهضم وغسول اللوز او الغلسرين واذا كانت العلَّة شديدة يوضع على الوجه لزقة من الخبز ليلاً

الثالث المتصلب وهو الحبوب التي تتصلَّب قواعدها وتلتهب وتستعصي وتبقى مدة بدون تقرُّح . وعلاجهُ الغسل بالماء الفاتر مع قليل من الجلاتين ثم يدهن بدهان هيبوكلوريد الكبريت

---

(٦) حمل طويل

دمياط . احد القراء سيدة انقطع امامها من الحمل منذ سبعة اعوام وفي شهر نوفمبر الماضي ابتدأ حملها وظهر معهُ مرض شديد في الاحشاء فكان يعتريها نوبات شديدة حتى يكاد يغشى عليها مع برد في الاطراف وصفرة شديدة في اللون وهزال في الجسم . ومرَّت

اشهر الحمل وكانت علاماتهُ ظاهرة بالبحث الطبي وبارتكاض الجنين منذ شهر ابريل الماضي • وعند حلول الشهر التاسع ابتدأ نزف دم شديد وخروج مواد اخرى سائلة ومضى الشهر التاسع والعاشر الى الثاني عشر ولم تضع ولا يزال الجنين يرتكض كالعادة وتشعر احياناً بقرب الوضع ولكنها لا تضع مع انها قبل سبعة اعوام كانت تحمل وتضع بسهولة فما سبب تأخر وضعها الآن او ما هي هذه الحالة

ج يقول الطبيب الذي اطّلع على سؤالكم انهُ يحتمل امر من ثلاثة امور الاول ان يكون الحمل كاذباً ولو شعرت بالارتكاض الذي تشيرون اليهِ والثاني ان يكون حدث اجهاض فمات الجنين ولم يخرج حتى الآن والثالث ان يكون الحمل الحقيقي حدث بعد التاريخ الذي تشيرون اليهِ . والطبيب الماهر في فن الولادة يستطيع ان يعين الامر الواقع فلا بدَّ من ان يستدعى لها طبيب ماهر في فن التوليد ان لم يكن قد انجلى الغامض منذ ارسال سؤالكم الى الآن

---

(٧) عدوى التثاؤب

جزيرة البحرين . احد المشتركين يقول ابو العلاء المصري

تثاءب عمرٌو اذ تثاءب خالد
بعدوى فما اعدتني الثؤباءُ

فما سبب التثاؤب وهل دعوى العدوى صحيحة

ج التثاؤب نوع من التنفس يحدث بفعل منعكس لكي يدخل بهِ مقدار كبير من الهواء الى الرئتين كأَنهُ موروث في الحيوانات البرية التي تتثاءب من اسلافها لما كانت بحرية وبريَّة وتحتاج ان تفتح افواهها وتدخل مقداراً كافياً من الهواء الى رئاتها . اما العدوى فقال بها البعض وحسبوا ان للتثاؤب ميكروباً لكن لا دليل على صحة هذه الدعوى والصحيح ان التثاؤب يحصل بالقدوة اي ان نظرَ المتثائب يؤثر في الاعصاب تأثيرًا يهيجها للتثاؤب كما ان نظر الليمون الحامض يفيض اللعاب من الفم

---

(٨) اللك

الاسكندرية • عبد المتعال افندي نبيه . يوجد حشرة تسمَّى حشرة الراتينج lac insect هل هي من الحشرات النافعة وما هو نفعها

ج نعم من الحشرات النافعة ونفعها انها تفرز صمغ اللك او تصنعهُ من صمغ الشجر الذي تعيش عليهِ . واللك كثير الاستعمال في الصنائع ولاسيما في صناعة الدهان وتقدَّر قيمة تجارتهِ الداخلية في بلاد الهند بنحو مليون جنيه في السنة

(٩) شجرة البقر

ومنهُ • يقال انهُ يوجد في احد اقسام اميركا الجنوبية شجرة تعرف باسم شجرة البقر

cow-tree يستخرج منها لبن صباح كل يوم فهل ذلك صحيح

ج نعم يوجد شجر عصارهُ لبني غزير وهو يستخرج بثقب قشر الشجرة فيتحلَّب منها غزيرًا حتى يملأ قنينة عادية في نصف ساعة وطعمهُ مثل طعم لبن البقر ورائحتهُ مثل رائحتهِ ويصفرُّ بعد قليل ويجمد ويصير كالجبن وهو مغذٍّ مثل اللبن ولكن تركيبهُ الكيماوي يختلف عن تركيبهِ ويأكلهُ الزنوج وهنود اميركا

---

(١٠) البابوات وحلق الشعر

دمشق الشام . احد القراء . قرأت في الجزء التاسع من المقتطف مقالة نفيسة في البابوية وانتخاب البابوات اجاد فيها كاتبها وافاد لكنهُ لم يذكر لنا لِمَ يحلق البابوات لحاهم وشواربهم مع ان السيد المسيح كان بلحية وشاربين وكذا الرسل الاطهار فنرجو ان تذكروا لنا السبب الذي حملهم على ذلك ومتى ابتدأت فيهم هذه العادة

وورد علينا مثل هذا السؤال من النبطية ومن الاسكندرية وطنطا

ج ان حلق اللحى والشوارب عادة قديمة في اوربا من عهد الرومانيين وكان بابوات رومية يجرون عليها مرةً ويخالفونها اخرى حسب شيوعها في بلادهم حاسبين ان ليس للشعر شأنًا دينيًّا . فالبابا ليبريوس الذي رقي السدَّة البابوية سنة ٣٥٢ كان يحلق لحيتهُ وشاربيهِ وكذلك البابا بونيفاشيوس الرابع الذي رقي السدَّة البابوية سنة ٦٠٨ وادريانوس الاول (٧٧٦—٧٩٥) ولكن البابا يوليوس الثاني (١٥٠٣ — ١٥١٣) وبولس الثالث (١٥٣٤ — ١٥٤٩) وسكستوس الخامس (١٥٨٥— ١٥٩٠) واكليمندس الثامن (١٥٩٢— ١٦٠٥) لم يكونوا يحلقون لحاهم وشواربهم . ويفضِّل الاوربيون حلق اللحى والشوارب في القضاة والقسوس ورؤساء الدين لكي تظهر ملامح وجوههم تمامًا وكان حلق الشعر دليلاً على النقاوة عند المصريين القدماء ولا علاقة بين الشعر والدين

---

(١١) الترابة الافرنجية

الكورة . الخواجه ميخائيل سركيس . كيف تصنع الترابة الافرنجية واي تربة او صخر موافق لها

ج يظهر لنا انكم تريدون ما يسمَّى بالسمينتو الروماني وهو يصنع من الدلغان (الطفال) الذي فيهِ حبوب كبيرة من الحجارة الكلسية الصلبة او الحديدية والغالب ان يكون تركيبهُ الكيماوي من ٦٦ جزءًا من كربونات الكلس و١٨ جزءًا من السلكا و٧ من الاليومينا و٦ اجزاء من اكسيد الحديد . يكلَّس هذا الطفال ويطحن حتى يتكون منهُ مسحوق ناعم فيكون الترابة الافرنجية التي تجمد سريعًا بعد بلها ولو وضعت تحت الماء

(١٢) الكلس الافرنجي

ومنهُ . كيف يصنع الكلس الافرنجي واي الصخور يوافق لعملهِ

ج نظن انكم تريدون الجص او الجبس فان كان الامر كذلك فهو يصنع بحرق حجارة كبريتات الكلس كما يصنع الكلس العادي بحرق الحجارة الكلسية التي هي كربونات الكلس ثم يسحق ناعماً بعد حرقهِ. والحرق يخرج الماء منهُ فاذا جبل بالماء بعد ذلك امتزج بهِ ورجع صلباً كما كان قبل حرقهِ. ولا بدَّ من ان تكون الحرارة التي يحرق بها واطئة لا تزيد على ٢٥٠ درجة فارنهيت فاذا بلغت ٤٨٠ درجة لم يعد يجمد اذا مزج بالماء

باب الاخبار العلمية

دواء السرطان

ادَّعى الدكتور اوتو شمت الالماني انهُ اكتشف ميكروب السرطان ومصلاً يشفي منهُ وقرأ بعضهم مقالةً في جمعية ابردين الطبية بيَّن فيها ان الدكتور شمت ربَّى ميكروب السرطان الذي اكتشفهُ وقتلهُ وصنع منهُ طعماً يحقن بهِ المصاب بالسرطان فيشفى منهُ . وحتى الآن لم يجرب هذا العلاج احد غيرهُ والباحثون في هذا الموضوع لا يستطيعون ان يبدوا حكماً لا سلباً ولا ايجاباً الاَّ بعد ان تكثر التجارب وتظهر نتائجها

اصل الهكسوس

كتب ثلاثة من مدرسة لڤربول الجامعة في جريدة التيمس انهم اكتشفوا ادلة جديدة على ان الهكسوس المعروفين بالملوك الرعاة الذين استولوا على القطر المصري بين سنة ٢٢٣٠ و١٧٠٠ قبل المسيح اصلهم من الحثيين سكان سورية وكذلك اصل الترسكانيين الذين نزلوا ايطاليا فتصدَّى لهم كثيرون من الكتَّاب وقالوا ان هذا الرأي قديم جمع الادلة الكثيرة على صحتهِ الاب ده كارا اليسوعي ونشرها سنة ١٨٨٩

مرض النوم

ظهر من بحث الكولونل بروس الذي أُوفد الى اوغندا للبحث عن مرض النوم ان لهُ ميكروباً تنقلهُ الذبابة المعروفة بالتستس من المرضى بهِ الى الاصحاء ولا خوف منهُ حيث لا توجد هذه الذبابة

الحمى الصفراء والبعوض

خفَّت وطأَة الحمى الصفراء في جزيرة

كوبا منذ استولى عليها الاميركيون حتى كادت تُستأصل منها . والسبب في ذلك الاهتمام بقطع دابر البعوض . وقد كان الاعتقاد العام ان الحمى الصفراء داء قتال ينتقل باللمس . اما اطباء جيش الاحتلال الاميركي فبيّنوا فساد هذا الاعتقاد واثبتوا انها تنتقل بواسطة البعوض . وكانت نتيجة اتخاذ الوسائط لابادة البعوض ان خفت وطأتها وتقلص ظلها وصار يُرجى ان تتطهر مدن كوبا الكبيرة منها

ازالة اضرار التبغ

اكتشف الاستاذ هِرْجيرولد احد علماء الكيمياء بالمانيا طريقة يستطيع بها ازالة المضار التي تحدث من الافراط في شرب التبغ كالدوار وخفقان القلب وامراض الصدر . وذلك بان تغمس اوراق التبغ قبل تهيئتها في محلول من الحامض التنيك فيتحد هذا الحامض بالنيكوتين ويتولد منهما مادة خالية من الاذى . ولكي تزيد لذة طعم التبغ يعالج بعدئذٍ بنقيع المردكوش فلا يختلف طعمهُ حينئذٍ عن التبغ الاعتيادي . والتجارب التي اجريت في بعض الحيوانات كالضفادع وبنات عرس حتى وفي الانسان نفسهِ برهنت على ان استعمال هذا النوع من التبغ لا يضر . فان ضغط الدم ونبضان القلب يبقيان اعتياديين ويزول الشلل الذي كان يعتري الحيوانات من التسمم بالنيكوتين

التصوير من غير شمس

لا يخفى ان الصور الفوتوغرافية لا تنقل الى الورق ما لم توضع في الشمس وقد استنبط احد اهالي فلادلفيا قنديلاً نورهُ بنفسجي تنقل الصور على نورهِ الى الورق حالاً باسرع مما تنقل في نور الشمس ويمكن ان يصنع بهِ تسع مئة صورة كل يوم

نيازك نوفمبر

لم نحوّل الانظار الى نيازك نوفمبر لئلاَّ يقلق لها الناس على غير طائل . لكن الذين راقبوها رأوها كثيرة بعد نصف الليل وقبيل صباح السادس عشر من نوفمبر حتى بلغ عدد ما رآهُ راصد واحد من الساعة الرابعة الى الخامسة ١٢٠ ومن الخامسة الى السادسة ١٤٠ وذلك في العروض الشمالية . وبلغ معظم ظهورها في الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة والاربعين فكانت ثلاثة في الدقيقة

اعلى الجبال

اعلى جبال الدنيا جبل افرست وهو قنة من قنن جبال حملايا في اواسط اسيا فان علوهُ تسعة وعشرون الف قدم وعلى مقربة منهُ قنن كثيرة تدانيهِ علوًّا . وليس في قارة اخرى جبل يبلغ هذا الارتفاع . واقرب الجبال اليهِ جبل اكنكاغوى في اميركا الجنوبية فان ارتفاعهُ ٢٣٠٩١ قدماً . وترى في الجدول التالي اسماء ارفع الجبال في اربع عشر من القارات

والجزائر ولم يذكر بينها الاَّ اسم ارفع جبل من كل قارَّة وجزيرة وهي

		اقدام
جبل افرست في اسيا	ارتفاعهُ	٢٩٠٠٠
اكنكاغوى في اميركا الجنوبية	«	٢٣٠٩١
مكنلي في اميركا الشمالية	«	٢٠٤٦٧
كليمنجارو في افريقية	«	١٩٦٨٠
منت بلانك في اوربا	«	١٥٨٠٠
مونا كيا في جزائر هواي	«	١٣٨٠٨
كينابالو في جزيرة بورنيو	«	١٣٠٩٤
فكتوريا في غينيا الجديدة	«	١٣٠٢٢
غوننغ كورنتجي في سمطرة	«	١٢٤٨٠
فوجياما في اليابان	«	١٢٤٠٠
اربوس في فكتوريا لند	«	١٢٣٦٥
كوك في زيلندا الجديدة	«	١٢٣٥٠
يكودي تيدي في جزائر كناري	«	١٢٢٣٤
غوننغ سمرو في جزيرة جاوى	«	١٢٠٣٧

الغنى بالاختراع

اخترع رجل الماني فقير كبسولاً ميكانيكيًّا يوضع في القنابل ويشتعل في وقت محدود فاشترى معمل كروب هذا الاختراع منهُ بعشرة آلاف جنيه دفعها لهُ نقداً وتعهد ان يعطيهُ خمسة غروش عن كل كبسول يصنعهُ

تلغراف ارتوم

يظهر انهُ سيكون للايطاليين شأن كبير في التلغراف الخالي من السلك فقد استنبط واحد منهم اسمهُ الاستاذ ارتوم طريقةً لتوجيه التموجات الكهربائية كيفما يشاءُ فاذا اضيف استنباطهُ الى استنباط مركوني وفي تلغراف مركوني باكثر مما ينتظر منهُ

الاستاذ ممسن

توفي الاستاذ ممسن المؤَرخ الالماني الشهير في غرة نوفمبر وعمرهُ ٨٦ سنة . وكان من اكبر مؤَرخي العصر ومن اسلسهم عبارة. نُفي من بلادهِ لانهُ كان شديد الانتقاد على سياستها فلجأَ الى سويسرا ثم عاد الى بلادهِ وجُعل استاذاً للتاريخ في مدرسة برلين الجامعة . وكان من اكبر خصوم بسمارك انتقد سياستهُ من الانتقاد وسماهُ مرةً "بالنصَّاب" فقبض عليهِ وحوكم بالقذف فبرأَتهُ المحاكم ولهُ تآليف جمة تعدُّ بالمئات بين كتب ورسائل

هبة عظيمة

توفي المستر غودون ماكي الغني الاميركي ويقال انه ترك لمدرسة هارفرد الجامعة خمسة ملايين من الجنيهات فان صحَّ هذا الخبر فتكون تلك المدرسة قد صارت اغنى مدارس الدنيا فقد كانت املاكها تساوي نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات فصارت بهذه الهبة ثمانية ملايين من الجنيهات

كتاب ثمين

بيعت نسخة من كتاب المزامير الذي طبع سنة ١٤٥٧ بسبعة وعشرين الف ريال

جوائز نوبل

حكمت جمعية العلوم التي يناط بها توزيع جوائز نوبل السنوية ان تعطي جائزة الآداب هذه السنة لابسن وجورنص وجائزة العلوم الطبيعية لمركوني وجائزة الطب لفنسن

جائزة للانتفاع بالعنب

كثر العنب في ولاية كاليفورنيا من ولايات اميركا حتى ضاق اصحابهُ ذرعًا بهِ ورخص ثمنهُ جدًّا فصاروا يبيعون الطن منهُ بعشرة ريالات . وقد وعدوا الآن باعطاء خمسة وعشرين الف ريال لمن يستنبط طريقة لاستخراج حامض الطرطير من العنب حتى يكون رخيصاً تسهل المتاجرة بهِ

طيران الانسان

انشأَت جريدة السينتفك اميركان مقالة في الطيران بيَّنت فيها ان كل الذين حاولوهُ اخطأُوا في تقدير القوة اللازمة لهُ لانهم قدَّروها باكثر مما يلزم . وقالت ان اللقالق تقطع من بلاد المجر الى بلاد الهند مرتين في السنة والمسافة نحو ٢٤٠٠ ميل تقطعها في اربع وعشرين ساعة فتبلغ سرعتها مئة ميل في الساعة على ضعف قوتها والحيوانات البرية القوية لا تقطع مئة ميل في اقل من اربع وعشرين ساعة . واكثر الطيور سريعة الطيران على هذا النمط مع خفَّة اجسامها وضعف قوتها

كرسي الملكة فكتوريا

ارسل ملك الانكليز الى معرض اميركا المقبل كرسيًّا من العاج اهداهُ الى امهِ مهرجا تراڤنكور في يوبيلها . قالت جريدة السينتفك اميركان في وصفهِ انهُ من معجزات الصناعة قوائمهُ في شكل قوائم الاسد ويداهُ منتهيتان برأسي اسدين وظهرهُ في شكل صدفة قائمة على ظهور افيال وفرشهُ من المخمل الاخضر مطرز بالذهب والفضة تحيط بهِ عذبات ثمينة وجسم الكرسي كلهُ منقوش بتماثيل الناس والحيوانات

علاج الذئب الاكال

قال الدكتور فنسن في اكادمية العلوم انهُ عالج ٨٠٤ بالنور فشفي ٤١٢ منهم ومن هؤُلاء ١٢٤ مضى عليهم من سنتين الى ست سنوات ولم يعاودهم الداء والباقون احدث منهم عهدًا ولا دليل على ان الداء سيعاودهم

سرعة القطرات

في النية ان تزاد سرعة الاكسبرس بين مصر والاسكندرية حتى يقطع هذه المسافة في ساعتين ونصف ساعة . الاَّ ان زيادة السرعة الى هذا الحد يزيد نفقات الوقود نحو تسعين في المئة فقد ثبت بالامتحان ان القطار الذي سرعتهُ ٣٢ ميلاً في الساعة اذا زيدت سرعتهُ حتى بلغت ٤٨ ميلاً في الساعة زادت نفقاتهُ نحو تسعين في المئة

فهرس الجزء الثاني عشر من المجلد الثامن والعشرين

٩٨٥ اقدم الآثار المصرية

٩٩٠ برج ايفل وخزان اصوان

٩٩٢ بغال الحيوان

٩٩٣ محاربة السرطان

٩٩٦ القضاء والقدر وطول الاعمار . لمحمد افندي كرد علي

٩٩٩ غنى افريقية الجنوبية

١٠٠٣ رشاد باشا (مصوَّرة) . لكليانتس افندي فيليبيذس

١٠٠٧ المدفع الكهربائي

١٠٠٨ الارتقاء الفكري في تركيا

١٠١٣ كلف الشمس (مصوَّرة)

١٠١٩ مكاتب الاولاد في اميركا

١٠٢١ تركيب الانسان . ليوسف افندي بشلي

١٠٢٨ باب المراسلة والمناظرة ✲ سباق الكاس الاميركية . العربية والمدرسة الكلية

١٠٣١ باب تدبير المنزل ✲ تمريض المرضى . الاولاد ملوك الملوك . سلطة المرأة . الحديث على المائدة

٢٠٣٩ باب التقريظ والانتقاد ✲ واقعة السلطان عبد العزيز . الاخاء المتين بين العلم والدين

٢٠٤٠ باب المسائل ✲ تاريخ تلماك . جبن جرافير . عملة في القطر المصري . رحلة فرغوسن . دواء حب الصبا . جمل طويل . عدوى التثاؤب . اللك . شجرة البقر . البابوات وحلق الشعر . الترابة الافرنجية . الكلس الافرنجي

١٠٤٤ باب الاخبار العلمية ✲ وفيه ١٩ نبذة

رواية كليوباطرة ملحقة بالمقتطف

الفصل الخامس والعشرون

شرع جورجياس يقصّ قصتهُ فقال انهُ رافق ديون الى المرفإ ثم عاد الى النادي حيث يسمع اخبار كل ما يجري في البلاد فرأى فيهِ كثيرين من المكدونيين وسمع كثيرًا من الاخبار المتناقضة عن الجيش والاسطول ثم ورد الخبر عن خيانة من في الاسطول وانضمامهم الى العدو وتلاهُ خبر تنحي الجنود عن القتال فرسانًا ومشاة وانضمامهم الى الاعداء وجاء احد اعيان المدينة وقال انهُ شاهد انطونيوس على رصيف المرفإ ومعهُ بعض الاعوان ووجهتهم القصر الصغير

واتفقت الآراء على انهُ لم يبقَ لانطونيوس الا ان يتجرَّع غصص المنون بيدهِ كما فعل بروتس وغيرهُ من عظماء الرومانيين ثم وردت الاخبار انهُ انتحر او حاول الانتحار. ولما بلغ جورجياس هذا الخبر اسرع الى القصر الصغير فوجد انهُ يستحيل الوصول اليهِ لشدة الازدحام حولهُ ثم بلغهُ ان انطونيوس نُقل من ذلك القصر وسار مشيعوهُ في شارع الملك. والتقى بواحد من عبيدهِ وكانت عيناهُ حمراوان كالدم من كثرة البكاء فاستوقفهُ وسألهُ عمَّا يعلم من امر مولاهُ فقال لهُ انهُ لما رأى ان جنودهُ خانتهُ كلها وانضمت الى الاعداء هرب الى القصر الصغير فلم يكد يصلهُ حتى بلغهُ ان كليوباطرة سبقتهُ الى عالم الاموات فأمر عبدهُ اروس ان يقتلهُ فاستلَّ العبد سيفهُ وعوضًا عن ان يقتل بهِ مولاهُ وضعهُ في صدرهِ وسقط عليهِ فوقع ميتًا فقال لهُ انطونيوس لقد علَّمتني كيف انتحر ثم انهُ استلَّ خنجرهُ وطعن بهِ صدرهُ وكانت الطعنة بالغة جدًّا لكنها لم تقتلهُ فوقع يختبط بدمائهِ ويستغيث بالذين حولهُ ليجهزوا عليهِ وما منهم من يجسر على ذلك. وكان كل هذه المدة ينادي باسم كليوباطرة ويقول اني سالحق بكِ سريعًا. ثم جاءهُ ديوميدس كاتب الملكة الخاص لينقلهُ اليها الى المدفن الذي لجأت اليهِ فحُمل اليها واوصى قبل خروجهِ من القصر ان يدفن عبدهُ اروس باكرام يليق بهِ لان كرم اخلاقهِ لم يفارقهُ حتى وهو محتضر

فلما سمع جورجياس ذلك اسرع الى المدفن ولم يستطع الوصول اليهِ من شارع الملك فدار الى زقاق ضيق سار فيهِ وكان كيفما سار يرى الجنود الرومانية بالسلاح الكامل كأن المدينة استحالت الى معسكر وبينهم كثيرون من الالمانيين والاسبانيين وغيرهم من الشعوب المنضوية تحت اللواء الروماني ولما بلغ هيكل ديوسكورس رأى فرقةً من الجند قبضت على انتلس ابن انطونيوس وحاكمتهُ في مجلس عسكري وحكمت عليهِ بالقتل وقتلتهُ وحدث كل ذلك في دقائق قليلة . وقد دلَّ على انتلس معلمهُ ثيودوتس لكن الرومانيين رأوهُ يخبئ جوهرة كبيرة في منطقتهِ

بعد ان اختلسها من عنق سيدهِ فكتفوه وساروا بهِ وراء جثة انتاس وبلغ جورجياس بعد ذلك انهم حاكموهُ وحكموا عليهِ بالصلب جزاء خيانتهِ واختلاسهِ

ولما وصل الى المدفن وجد الحرَّاس حولهُ من كل جهة وكانوا يعلمون انهُ بانيهِ فسمحوا لهُ بالدخول . وتأَخُّرهُ عن الوصول اليهِ بهذه العوائق كفاهُ رؤْية منظر يفتت الاكباد لكن ديوميدس كاتب الملكة اخبرهُ عن كل ما جرى بالتفصيل وكان قد رافق انطونيوس الى المدفن كما تقدَّم . وخلاصة ما اخبرهُ بهِ ان كليوباطرة لجأَت الى المدفن حالما علمت ان الدائرة دارت على جنودها ولم تسمح ان يرافقها اليهِ احد الاَّ شارميان وايراس فساعدتاها على اقفال الباب النحاسي وشاع الخبر حينئذٍ انها انتحرت وبلغ انطونيوس فحملهُ على الانتحار . ولما جيءَ بهِ اليها حاولت هي وشارميان وايراس ان يفتحن الباب النحاسي فلم يستطعنَ فجعلت تفتش في المدفن عن مدخل آخر لانها قالت لا بدَّ لي من ان اراهُ واغمض عينيهِ بيدي واموت معهُ وأخيرًا اهتدت ايراس الى البكرات المنصوبة فوق السطح لرفع اللوح النحاسي فصعدن اليها ودعون حاملي انطونيوس الى ربطهِ بالحبال وجعلنَ يرفعنهُ بها رويدًا رويدًا. قال ديوميدس انهُ لم يرَ الراؤُون منظرًا يصدع الفؤَاد مثل منظر ذلك الجبَّار معلقًا بين الارض والسماء وهو في غمرات المنون يتململ من شدَّة الالم ولكنهُ باسط يديهِ الى المرأة التي ملك حبها فؤَادهُ . وظلَّ يناديها باسمها مع تعسر النطق عليهِ اما هي فكانت صامتة لا تتكلَّم تشدُّ بالحبال مع شارميان وايراس بكل جهدها حتى تجرَّحت يداها وسال دمها فرفعنَهُ رويدًا رويدًا الى ان بلغ اعلى السطح ولكن تعذَّر عليهنَّ ان يتناولنَهُ ويضعنهُ على السطح وحينئذٍ صعد ديوميدس اليهنَّ وساعدهنَّ على تناولهِ وانزالهِ على سلم المدفن الى داخلهِ ووضعهُ على الارائك الموضوعة هناك ثم خرج ووقف على السلَّم لكي يكون قريبًا من الملكة يساعدها اذا احتاجت الى مساعدتهِ وكانت تلهث من شدة التعب وقد انحلَّ شعرها فمزَّقت ثيابهـا وجعلت تلطم صدرها وتخمشهُ باظافرها وتبكي وتنوح ثم القت خدها على جرح انطونيوس لتسدَّهُ بهِ وتمنع نزف دمهِ ونادتهُ باحب الاسماء كما كانت تناديهِ في صباها وامتزجت دموع الحبيبين فانعشت ما ذبل من زهر الحب ولوعة الغرام. واشتدَّت عليها حرقة الحزن كما اشتدت لواعج الحب . وكأَنها تذكرت في تلك الساعة كل ما رأتهُ في حياتها من بسالتهِ وشهامتهِ وغرامهِ بها واخيرًا غلبها الكمد فلم تعد ترى غير ما هو فيهِ من الالم المبرح وما امامهُ وامامها من الهوَّة الفاغرة فاها لابتلاعهما فنسيت مسراتها الماضية ولم تأْمل ان ترى شيئًا يسرُّها بعد الموت فاستسلمت لليأْس ولم تكن قد تعلمت الصبر على الشدائد فجعلت تندب وتنوح وكادت تمزق قلبها بيديها

واتت شارميان بشيء من الخمر وسقت انطونيوس منهُ فانتعش قليلاً وجعل يتوسّل الى كليوباطرة لتهتم بسلامتها اذا وجدت الى ذلك سبيلاً لا يثلم صيتها وقال لها ان بين رجال اكتاڤيانوس رجلاً اسمهُ ارمينيوس يمكنك ان تثقي بهِ . ثم طلب منها ان لا تنوح عليهِ بل تعدّهُ من اسعد الناس لان السعد خدمهُ في حياتهِ اكثر ممَّا خدم اي انسان كان . فقد كان اقدر رجال عصرهِ واحبتهُ اجمل النساء وافضلهنَّ وهو يموت الآن بين يديها رومانيًّا شريفًا لم يقهرهُ الاَّ روماني آخر مثلهُ . قال ذلك واسلم الروح بعد احتضار قصير . وكانت ترقب انفاسهُ فاغمضت عينيهِ بيديها وارتمت عليهِ وقد جفَّت عيناها ثم أُغمي عليها ورأسها ملقىً على صدرهِ

ورأى كاتبها كل ذلك ثم عاد الى الطبقة الثانية من المدفن والدموع ملءُ عينيهِ فالتقى هناك بجورجياس واخبرهُ بما سمع ورأى كما تقدَّم ولم يكد يتم حديثهُ حتى جاءت مركبة ووقفت امام المدفن ونزل منها رجل من وجهاء الرومانيين . وكان هذا الرجل ارمينيوس الذي قال عنهُ انطونيوس انهُ رجل امين يوثق بهِ . قال جورجياس " ورأيتهُ فاذا هو اشم الانف بادي المهابة مثل اشرف ابناء جنسهِ جاء من قبَل اكتافيانوس وقال انهُ كان من انصار قيصر ومن المعجبين بهِ و بلغنا عنهُ قبلاً انهُ شاعر اديب وعلى جانب عظيم من الثروة وقد مدحهُ تماجنس واثنى عليهِ لشهامتهِ ولعلهُ كان مصيبًا في مدحهِ لهُ ولكن اذا عرضت مصالح البلاد فقد تضيع معها شهامة الرجال . اوفدهُ سيدهُ لامر كان يجب ان يترفَّع عنهُ وسيأتي وقت يلعن فيهِ الساعة التي اطاع فيها امرهُ

نزل من المركبة وقرع باب المدفن طالبًا الدخول وقال انهُ جاء بامر اكتاڤيانوس ليعرض على كليوباطرة شروط الصلح . فقالت لهُ هات ما عندك ولكنها لم تسمح لهُ بالدخول . وممَّا طلبتهُ ان يعترف اكتافيانوس بولديها من انطونيوس ملكين على مصر . فقال لها انهُ يعرض طلبها عليهِ ووعدها خيرًا ثم سألها عن موت انطونيوس واخبرها عما تمَّ لجنودهِ . وهو ليس مهذارًا يكثر الكلام على غير طائل ولكنني لحظت انهُ كان يريد ان يطيل الكلام الآن لغرض ما واتضح لي بعدئذٍ انهُ كان منتظرًا كرنيليوس غالوس قائد الاسطول وهو ايضًا من عظماء رومية ولكنهُ باع نفسهُ وشهامتهُ لاكتافيانوس فلما وصل تنحى ارمينيوس و بقيتُ انا مكاني اسمع ما يقولهُ كرنيليوس فجعل يصف ما خامر قلب اكتافيانوس من الحزن على صديقهِ انطونيوس وما اراقهُ من الدموع حينما بلغهُ خبر موتهِ . وظهر لي ان كرنيليوس كان يطيل الحديث قصدًا ثم جاءني احد رجالي وقال لي ان ارمينيوس وضع سلمًا وراء المدفن

وصعد عليهِ مع اثنين من اتباعهِ فبادرت للحال لكي اخبر الملكة بهذه الخيانة ولكنني وصلتُ اليها متأخرًا ولو علمتُ قبلاً بصعودهِ واخبرتها قبل وصولهِ اليها لقضي الامر ونجت مما يحيق بها الآن من العار او مما سيحل بها من الصغار . لما اخبرتها بنزول هذا الرجل اليها استلّت خنجرها من نطاقها لتطعن بهِ صدرها فلمع في يدها كالبرق متألقًا بانوار الثريا المعلقة في المدفن. وهنا تعوزني مخيلة الشاعر لاصف لك ما رأيتهُ وما سمعتهُ في تلك اللحظة. جدران المدفن وسقفهُ واعمدتهُ من البرفير والرخام الضارب الى السواد ولكنها صقيلة كالمرآة وفي القاعة التي كنّا فيها حيث الناووس الكبير المعد لكليوباطرة وانطونيوس ثريًّا كثيرة المصابيح يتألق النور منها وينعكس عن الجدران حتى كأن الواقف تحتها واقف في حفلة انس وطرب لا في مدافن الاموات . والهواء الصاعد من اسفل المدفن الى اعلاهُ يعبث بالمصابيح فيزيدها اشراقًا فرأيت على تلك اليد البيضاء والصدر المرمري كل خمش ولطخة دم آثار ما فعلتهُ تلك المرأة بنفسها وهي تلطم صدرها وتمزقهُ باظافرها ووراءها وفي المخادع المتصلة بالقاعة ظلام دامس اذا اخرج الانسان فيهِ يدهُ لم يكد يراها . وتزيد ظلمتهُ للواقف في نور الثريا حتى ان اطراف القاعة حيث يصل النور ضئيلاً تُرى شديدة الظلام للواقف تحت المصابيح الاّ بقعة صغيرة ينزل اليها نور الشمس من فتحة السلم الواصل الى السطح فيرى كحبل من النور يرقص فيهِ الهباء كمخاط الشيطان . ما ارهب ذلك المنظر وما ابدعهُ وربة الجمال واقفة فيهِ وفي يدها القضاء المبرم وقد احاطت بها هالة من النور كما تحيط بشمس الزوال بل هي البدر في الليلة الظلماء ووراءها قتام دامس . فوقفتُ مبهوتًا وقف النقّاش المصورُ يتأمل منظرًا بديعًا يعجز الخيال عن تصويرهِ وكان حقي ان اهجم عليها وانزع الخنجر من يدها ولكن فعَل غيري ما لم افعلهُ وما لم استطع منعهُ وكانت قد اشارت الى ايراس وشارميان لتفتحا بابًا سرّيًّا وتنزلا الى غرفة المواد الملتهبة وتضرما فيها النار واستلّت خنجرها كما تقدَّم لتطعن بهِ صدرها واذا بارمينيوس هجم عليها كالاسد الضاري وامسك بيدها ونزع الخنجر منها قوةً واقتدارًا . فالتفتت اليهِ وقد انقلبت ملامحها من الكآبة والقنوط والزوح تحت اثقال القدَر المحتوم الى الغيظ والازدراء واحتقار الدنايا . تحوَّل نور وجهها الى نار آكلة . هذه هي النقمة التي تحلُّ على رؤُوس الخونة الادنياء . ارمينيوس الرجل العظيم والشاعر البليغ الذي تغنّى بمدحهِ الشعراء على ضفاف التيبر ومدحهُ المؤلفون في كتبهم ارتكب ما تترفَّع عنهُ شهامة الرجال . وقبض على ابنة الملوك الصيد وريثة البطالسة ورافعة لواء مجدهم قبض عليها بكلتا يديهِ لينزع من يدها ما تنجو بهِ من العار . حاولت التخلص منهُ جهدها ووقفتْ امامهُ كاللبوة الثاكل تنظر اليهِ شزرًا فاراها ان ذراع الرجل اقوى من

ذراع المرأة . لكن النظرات التي رشقتهُ بها خرقت فؤادهُ وستعاوده جراحها وهو على فراش الموت ولو رشقتني بها لقلت على الدنيا السلام . ولكنها لم ترتدَّ خائبة حتى عن ذلك الروماني الغشوم لانها اذهبت نضارة وجههِ فوقف امامها ممتقع اللون اذ عرف من نفسهِ انهُ فعل دنيئة لا يأتيها كريم لاسيما بعد ان مدَّ يديهِ وفتش ثيابها لئلا يكون معها مدية اخرى او سم تتجرعهُ. وفتش تابعاهُ ثياب ايراس وشارميان ولم يكفَّ عن المواعيد الكاذبة بل بقي يقول لها ان اكتافيانوس لا يقصد لها شرًّا وسيمنحها كل ما تطلبهُ منهُ . ثم فتح باب المدفن وسار بها الى قصر لوخياس وكنتُ واقفاً في مكان مظلم أرى منهُ ولا أُرَى فبقيت في مكاني كالصنم لا استطيع حراكاً لان ما رأيتهُ اذهلني عن نفسي ولاسيما بعد ان رأَيت الملكة استحالت في لحظةٍ من صورة تتعشقها النفس لجمالها الى يأس تجسَّم في جسم امرأة وازدراء شمخ فوق الدنايا وحنق قام يطلب الانتقام. لا اصفها لان لساني يعجز عن الوصف . تانك العينان النجلاوان وقد جحظتا من الغضب. ذلك الشعر المهلهل وقد تلطخ بدم من تحبهُ . ما ارهب ذلك الموقف وما اجلهُ

لم استطع ان احذّرها من الخطر ولا ان اقف بينها وبين ذلك الخائن لكنها نظرت اليَّ نظر اللوم كأنها توبخني على اهمال او على جبن . ولا تزال تلك النظرة تتبعني كيفما سرتُ او اتجهت وتحرمني راحة البال . اين هيلانة فلعلَّ نظرةً منها تنسيني ما انا فيهِ

فوضع ديون يدهُ على كتفهِ وجعل يبيّن لهُ ان شدائد ذلك النهار ستعود عليهم وعلى مدينتهم بالرفاء والهناء فسكن روعهُ وعاد الى تتمة الحديث فقال :

خرجتُ من المدفن وسرت في طريق بيتي كالسكران وحاولتُ مرارًا ان اتبع الملكة فلم استطع لان الحرَس كان يمنع كل احد من اتباعها ثم علمتُ من انوكس ان اكتافيانوس سمح لها باختيار القصر الذي تريدهُ لتقيم فيهِ فاختارت قصر لوخياس . ولما وصلتُ الى قرب الجمنازيوم رأَيت ازدحاماً شديدًا سدَّت بهِ كل الشوارع لان اكتافيانوس كان قد دخل المدينة فخرج اليهِ السكان من بيوتهم وجعلوا يحيونهُ ساجدين لهُ على ركبهم . وعرفني كثيرون من الذين رأيتهم هناك فوسعوا لي حتى دخلت الجمنازيوم ورأَيت الناس ينتظرون اكتافيانوس وكان لا يزال في رواق اورجيتس حيث سلَّم لهُ رجال الدولة واعضاء المجلس البلدي

ورأَيت فركسس هناك فاوصلني الى مكان مرتفع ارى منهُ ما حولي واخبرني انهُ لما دخل اكتافيانوس الرواق رأى اريوس خال بارين فهشَّ لهُ لانهُ كان استاذهُ وصافحهُ وامرهُ ان يسير معهُ . ويظهر ان لاريوس مقاماً رفيعاً في عينيهِ وهذا يفيدك يا ديون ويفيد امرأتك . واكتافيانوس يكرمهُ كثيرًا كما سترى ولا اظن انهُ يرد لهُ طلباً وهو يستحق هذا الاكرام لعلمهِ

وشجاعتهِ . ولم يطُل انتظارنا حتى دخل القيصر (اي اكتافيانوس) ووقف امامنا فجثت لهُ كل ركبة وبسط وجهاؤنا اياديهم اليهِ كأَنهم شحاذون يتسوَّلون او جناة يتوسَّلون فجثوت معهم ولو حاولت البقاء واقفاً لامتدَّت اليَّ مئة يد والقتني على الارض

فقال ديون وكيف رأيت اكتافيانوس

فقال رجلاً تحفُّ بهِ المهابة وتبدو الفتوَّة من عطفيهِ حليق الوجه جميل الملامح كأَنهُ مخلوق لتنقش صورتهُ على النقود . كل ملامحهِ واضحة محدَّدة . كلُّ ما فيهِ يدل على انهُ كريم الحسب من الطراز الاول لكنهُ خالٍ من العواطف ورقة القلب . جميل انوف حازم يُخشى شرهُ ولا يُرجَى خيرهُ . وكان ممسكاً بيد اريوس وابناء اريوس سائرون وراءهما فلما وقف على المنبر نظر الى الالوف الجاثية امامهُ من غير ان يبدو اقل اثر في وجههِ كأَنهُ الراعي ينظر الى الغنم . وقف صامتاً لحظةً من الزمان ثم قال بعبارة يونانية فصيحة اني اعفو عن اهل الاسكندرية اكراماً للاسكندر الكبير باني هذه المدينة وقاهر المسكونة ولان جمال الاسكندرية اخذ بمجامع قلبي ولان فيها صديقي اريوس واود ان افعل ما يسرُّهُ

فهتف لهُ الحضور كلهم من اكبرهم الى اصغرهم ويحقّ لهم الهتاف لانهم كانوا واقفين بين اليأس والرجاء فازال الخوف من نفوسهم . ولم يكد يخرج من الجمنازيوم حتى نسوا ما كانوا فيهِ واخذوا يضحكون ويهذرون . قال لي ممنون النجار الذي صنع ابواب قصرك ان الدلفين انقذ اريوس مرةً من البحر فانقذ اريوس ملكة البحر من الهلاك وواحدة بواحدة سواء

ولم اصل الى بيتي الاَّ بالمشقة لان الشوارع كانت غاصَّة بالجنود الرومانية واغنياء المدينة يدعونهم الى الحانات ويسكبون لهم الخمر دهاقاً . ونزل كثيرون في البيوت ونزلوا في بيتي ايضاً فارتاعت منهم جدة بارين وقضي عليها

وقد فُتحت ابواب المدينة الآن لابنة اخت اريوس ولا يبعد ان يقابلها الناس بالاناشيد وهي تستحق كل اكرام لانها تركت لاجلك مدينة يُعبَد الجمال فيها واقامت معك في هذه الجزيرة القفراء . اما انت فاني اخاف عليك من حسد الالهة اذا زادت نعمتك فوق ما أُعطيت من زوجةٍ كالشمس وابن كالبدر

فقال لهُ ديون اراك نسيت ما أُعطيت انت ايضاً وفاتك ان كثيرين يحسدونك على هيلانة اما انا فقد كنتُ اوجس شرًّا ولكن جاءتني الاقدار باحسن ممَّا اشتهي فهلمَّ واخبر هيلانة وبارين عن وفاة جدتهما ثم بشرهما بما بشرتني بهِ ولكن لا تصف لهما الليلة ما رأَيتهُ في المدفن بل دع وصفهُ الى الغد

وفي اليوم التالي وهو الثاني من اغسطس وردت الزوارق الى جزيرة الافاعي تحمل برنيكي واولاد اخيها اريوس وغيرهم من اصدقاء ديون ووجهاء المدينة الذين كانوا يترددون على بيت بارين فهنأوها وهنأوا زوجها بسلامتهما وعادوا بهما الى المدينة وكانوا يحسبون انهم يجدونهما نحيفين نحيلين فوجدوهما على احسن حال

وقد اسف اهالي الاسكندرية على ما اصاب ملكتهم وعلى زوال استقلالهم لكنهم سروا بالمعاملة الحسنة التي عاملهم بها اكتافيانوس ورجاله فانهم حفظوا لهم دمهم وعرضهم ومالهم . وودَّ كثيرون منهم ان يستقبلوا ديون استقبالاً بهيجاً لكنهُ ابى ذلك حداداً على جدة زوجتهِ . ثم مات دديموس بعد ايام قليلة . ودخل ديون وزوجتهُ قصرهما ولا صوت يحييهما غير صوت طفلهما ثم لما رأى ديون زوجتهُ لابسة ثياب الحداد قال هذا ما قالهُ جيورجياس عن حسد الالهة لنا ولولا هذه المرارة لكانت كاس الحياة احلى من ان تساغ

وعاد ديون حالاً الى تدبير شؤونهِ والاشتراك في تدبير شؤون المدينة وعاش مع زوجتهِ عيشة يحسدان عليها ولم تزدهما السرَّاء الاَّ استمساكاً بعرى الحب والفضيلة

الفصل السادس والعشرون

لما خرج ديون من الجزيرة اهدى الى ديوني ابنة بروس مالاً وافراً صداقاً لها فتزوجت بربان بارجة ارخبيوس وكان ذلك بسعي انوكس جارية شارميان . وظلت هذه الجارية تتردَّد على جزيرة الافاعي الى ان اقنعت بروس بمسك صل والمجيء بهِ الى ساحة السمك واضعاً اياهُ تحت الاعشاب البحرية في اسفل سلتهِ ولما اخبرتهُ بغرضها من الصل وهو ان الملكة وجدت بالامتحان ان سمهُ اقتل السموم وانهُ يقتل من غير الم وعزمت ان تنتحر بهِ ابى ان يلبي طلبها فاخذت تجادلهُ وتبين لهُ ان الملوك ليسوا مثل سائر الناس فيجوز لهم مالا يجوز لغيرهم وبمثل هذا الكلام اقنعتهُ حتى مسك صلاً وجعل يأتي بهِ كل يوم الى ساحة السمك حتى تجدهُ حالما تطلبهُ

اما كليوباطرة فسمح لها اكتافيانوس ان تقيم في قصر لوخياس بمظاهر ابهة الملك وردَّ اليها اولادها من انطونيوس التوأمين والاسكندر واما قيصاريون ابنها الاكبر من يوليوس قيصر فعاد من الصعيد باغراء معلمهِ فقبض عليهِ وامر بقتلهِ لانهُ كان يخشى شرَّهُ لما فيهِ من الشبه لابيهِ . وبلغ كليوباطرة ذلك فزاد نغصها لكنها كانت قد صرمت حبال آمالها ولم تعد تبالي بالرزايا وصممت اولاً على الموت جوعاً وامتنعت عن الطعام . فارسل اكتافيانوس يتهددها بقتل اولادها الباقين ان هي اصرَّت على ذلك فجزعت وتغلب عليها الحنو فعادت تأكل على جاري عادتها

وطلب كثيرون من امراء المشرق ان يحتفلوا بدفن انطونيوس فقال اكتافيانوس ان الملكة احق بذلك من كل احد واباح لها ان تفعل ما تشاء احتفالاً بدفنهِ فسرَّت بذلك واحتفلت بجنازتهِ ودفنهِ احتفالاً لا مثيل لهُ

وكانت تخرج الى بستان ددبموس لانهُ صار متصلاً بالقصر وترى اولادها يلعبون فيهِ وارخبيوس يعلمهم ويهذبهم وكانت تحاول المزح معهم احيانًا لتسليتهم فلا تستطع ذلك الاَّ لحظةً من الزمان ثم تجول الدموع في عينها فتضطر ان تتركهم . وكانت تشعر كأنَّ الحياة التي سمح لها اكتافيانوس بها دين ثقيل عليها لا بد من ايفائهِ وتود ان يتقاضاهُ منها باسرع ما يكون ولم تكن ترتاح الاَّ الى ذكر الموت والاساليب التي تستطيع ان تموت بها من غير الم وهذا كان اكثر حديثها مع شارميان وايراس فكانتا تخرجان من حضرتها كئيبتين بعيون دامية . واعدَّت ايراس كثيرًا من الدبابيس السامَّة بعد ان امتحنتها في الحيوانات ووجدت انها تميتها باسرع ما يكون اما كليوباطرة ففضَّلت لسع الصل لانهُ يميت من غير الم. ولما اخبرتها شارميان انها وجدت سبيلاً لاحضار الصل اليها حالما تشاء ابرقت عيناها كان كربتها انفرجت لكن اكتافيانوس بقي يتودَّد اليها و يعدها بالاعتراف باولادها ويحفظ حياتها وهي تقابل ذلك بالابتسام غير مصدقة ولكن غرس الامل ابتدأ ينمو في قلبها

وكان في حاشية اكتافيانوس رجل من عائلة كرنيليوس الشريفة اسمهُ دولابلاَّ كان ابوهُ صديقاً لكليوباطرة ولما قتل قيصر بعثت اليهِ بالجنود ليحارب بها كاسيوس . فجعل يتردَّد عليها ويعجب بما يراهُ من ذكاء عقلها وجمال طلعتها مع انها كانت غائصة في بحار الحزن . وحزنها زاد اعجابهُ بها واكرامهُ لها وودَّ ان يخدمها في امر من الامور وكان يرافقها حينما تذهب الى بستان ددبموس وترى اولادها فاحبهُ الاولاد لما رأوهُ فيهِ من جمال الطلعة وبشاشة الوجه ولطف الحديث . وعرفت كليوباطرة منهُ امورًا كثيرة عن اكتافيانوس فانهُ لم يكن يخفي عنها شيئًا وكان اذا قابل اكتافياتوس يكلمهُ في امرها ويحاول استطافهُ عليها واذا قابلها مدح لها كرم اخلاقهِ وحسن طويتهِ لانهُ كان يعتقد فيهِ ذلك وقال لها انكِ لو طلبتِ مقابلتهُ لانتهي كل شيء على ما تحبين وكان يعتقد انهُ يستحيل على رجل مثل اكتافيانوس ان يقابلها ويكلها ولا يرثي لحالها ويجيبها الى كل مطالبها

اما هي فكانت تنفر اشد النفور من لقاء رجل جلب عليها كل هذه الرزايا الاَّ انها لم تنكر ما قالهُ دولابلاَّ وهو ان اكتافيانوس يجد رد مطالبها اذا طلبتها بنفسها اعسر عليهِ من ردها لو طلبها لها آخر

وعلم ارمينيوس ان انطونيوس طلب من كليوباطرة ان تعتمد عليهِ وتثق بهِ فندم على ما فرط منهُ ندامة الكسعي وقال في نفسهِ ان التاريخ سيذكر ما فعلتهُ باللوم والتعنيف . وحاول ان يجد سبيلاً للتكفير عن ذنبهِ فبذل جهدهُ في تخفيف مصابها وحسب ان مقابلتها لاكتافيانوس تعطفهُ عليها فيعفو عنها وعن اولادها ويجيبها الى ما تطلبهُ منهُ

وقال ارخبيوس لشارميان ان هذه المقابلة لا تضرُّ ان لم تنفع وقد دلنا الاختبار انهُ ما من احد استطاع ان يقابل كليوباطرة من غير ان يمسي اسيراً لها وهي اقدر على اجتلاب القلوب بعد ان حلّت بها الرزايا. من يستطيع ان ينظر الى وجهها الجميل ويسمع صوتها الرخيم وما في كلامها من درر المعاني ولاسيما بعد ان كسر الحزن ما كان يخامرها من الانفة ولا تذوب نفسهُ اشفاقاً عليها . وهي في ثياب الحداد اجمل منها في حال الملك

ورآها مرةً وكانت الحمّى قد حمّرت وجنتيها فقال انها لم تكن في صباها اجمل منها الآن . وكان يعلم انها لم تعد تودُّ البقاء بل صارت تفضل الموت واللحاق بانطونيوس وانها عازمة ان تصرم حبل حياتها في اول فرصة تعرض لها وكل ما تفعلهُ الآن انما تفعلهُ استعداداً لذلك واهمهُ تدبير امر اولادها من بعدها وان مالت الى مقابلة اكتافيانوس واسترضائهِ فيكون لهذا الغرض

وترجَّح لكليوباطرة ان اكتافيانوس لا ينوي الايقاع باولادها والاَّ ما ردَّهم اليها بعد ان اوقع بقيصارون لانهُ كان يفرق بين ابن قيصر واولاد انطونيوس فلا يخشى شرَّ هؤلاء كما يخشى شر ذلك. واخيراً اذنت لارمينيوس في ان يطلب لها مقابلة اكتافيانوس فجاءها الجواب منهُ حالاً انهُ هو يأتي اليها لمقابلتها فقالت لشارميان لا بدَّ من بتِّ الامر في هذه المقابلة فليكن الصل حاضراً

وكان الحرس الروماني قد انس بانوكس وعذوبة منطقها فصار يسمح لها أن تدخل الى قصر لوخياس وتخرج منهُ من غير معارض لكنهُ كان يفتشها دائماً دفعاً لكل مظنة

وقربت الساعة وكانت شارميان تودُّ ان ترى بارين وابنها قبل مغادرتها الحياة ولم تستدعها اليها الى القصر لكي لا تنغص ايراس برؤيتها . وفي آخر الاسبوع جاء ارمينيوس يقول ان القيصر (اكتافيانوس) سيزور الملكة بعد ظهر ذلك النهار فاضطربت كليوباطرة وودت ان تزور قبر زوجها قبل ذلك وذهبت ايراس معها اما شارميان فارسلت واستدعت بارين وابنها وقابلتهما في بستان دديموس ولما وقعت عينها على الطفل ورأَت فيهِ صورة جدهِ لبونكس ابي بارين تذكرت حبها القديم لهُ فانتقلت من الحاضر الى الماضي في لحظة من الزمان لكنها استردت افكارها حالاً وجعلت بارين تخبرها عن اهلها وعن اقتران هيلانة بجورجياس ومرَّ

الوقت من غير ان تدريا واذا باحد الخصيان يقول لشارميان ان الملكة عادت من المدفن وسألت عنكِ فاعتنقت بارين وودعتها وطلبت منها ان تذكرها بالخير وتزور قبرها من وقت الى آخر وتضع عليهِ زهرة لان ليس لها اقارب يفعلون ذلك . وبينما هي تكلمها كذلك اقبلت ايراس بثيابها السوداء ووجهها الشاحب كانها اليأس والشقاء في جسم انسان فلما وقعت عين بارين عليها نخسها ضميرها لانها شعرت انها هي السبب في شقاء هذه المرأة وودت ان تدنو منها وتعتذر اليها وتستصفح لكن ايراس نظرت اليها شزراً ثم التفتت الى الطفل فخافت بارين ان تصيبهُ بعينها وغطت وجههُ بطرف نقابها وعلمت ايراس مرادها فقالت لها اهذا ابن ديون ولكن مالي ولهُ وفي القلب مشاغل اخرى لا يسع غيرها ثم دارت الى شارميان وقالت ان الملكة تطلب ان تكوني معها في مقابلتها لاكتافيانوس

وكانت الملكة قد ذهبت الى المدفن وناجت روح زوجها لكي تساعدها وتجعل اكتافيانوس ينقذها من الحالة التي كانت فيها معلّقةً بين الرجاء واليأس . ورافقها دولابلاً من المدفن الى القصر فقالت لهُ اخاف ان يتركني اكتافيانوس من غير ان اعرف منهُ ماذا ينويهِ لي ولاولادي فقال لها ان فعل ذلك فيكون من اقل الناس شهامةً . فقالت لهُ عدني انهُ ان لم يخبرني بما ينويهِ لي ولاولادي وكنت تعلمهُ فانك تخبرني بهِ . عدني بذلك اكراماً لابيك الذي كان من اعز اصدقائي . فقال لها اني سافعل اذا استطعت . ثم ادار وجههُ لكي لا يرى الخصيان الوقوف على الباب يفتشون ثيابها

ودخلت القصر وجلست على اريكة والقت رأسها على وسادة وحاولت ان تنام قليلاً لانها كانت متعبة وقبل ان تغمض عيناها سمعت وقع حوافر الخيل وقيل لها ان اكتافيانوس اقبل لزيارتها ولم تكن تنتظرهُ في تلك الساعة بل وقت الغروب وكان ارخبيوس وارمينيوس قد اشارا عليها ان لا تقابلهُ وحدها ولمح الثاني الى ان اكتافيانوس يودُّ اذا فعل مكرمة ان يفعلها على عيون الناس حتى يشهدوا لهُ بها . فامرت ايراس وشارميان وبعض رجال حاشيتها ان يكونوا معها فاستدعتهم حالاً اليها وكانت تود ان تخلع الثياب التي زارت بها القبر وتلبس غيرها ولكن دهمها الوقت فلم تستطع ذلك ولا استطاعت ترتيب شعرها ولم يكن الاَّ لحظة حتى وقف اكتافيانوس بالباب وقال لها " لقد دعوتني فلبيتُ والسيادة لربات الجمال حتى على الظافرين "

فاحمرت خجلاً وقالت لهُ لم ادعُ وانما طلبتُ ان يُسمَح بالمقابلة واشكرك على كل حال لانك تنازلت واجبت طلبي واذا خيف على الرجال من جمال النساء فانت في امن من ذلك هنا . لان الجمال لا يقيم مع هذا العذاب بل الحياة نفسها لا تطاق معهُ . وكنتُ اودُّ ان

اقضي عليها لكنك منعتني فان عدلت فامنح المرأة التي حرمتها الموت حياة تستطيع عليها صبرًا

فحنا لها رأسهُ وقال اني سابذل جهدي حتى يكون لكِ كل ما تستحقين

فقالت اذًا خلصني من هذه الحالة ولا تتركني معلقة بين الرجاء واليأس فانك لستَ من الذين ينظرون الى الحاضر ولا ينظرون الى المستقبل

فقال اظنكِ تشيرين الى رجل آخر كان يمكن ان يكون معنا الآن لو احسن نظرهُ في العواقب. وكانت تنظر اليهِ نظر الدعة والانكسار فلما قال ذلك شمخت بانفها وقالت لهُ "دع الموتى في راحتهم". ثم ملكت طبعها وقالت ان الرجل الذي اصبح سيدًا للمسكونة يدبر امور المستقبل كما يدبر امور الحاضر ويبعد عن الظن ان لا يكون قد قضى بما يريد ان يفعلهُ لاولادي قبلما يرى امهم ولا اظن انك كنت توجس شرًّا الاَّ من ابن خالك

فقال لم يكن لي بد مما فعلت ولكنني حزنت عليهِ كما اسفت على انطونيوس

فقالت ان كان ذلك كذلك فهو دليل آخر على كرم اخلاقك وانا لما نزع ارمينيوس الخنجر من يدي لامني لاني ظننت فيك الصرامة والعتو

فقال صفتان من ابعد الصفات عن طبعي

فقالت وهب انهما فيك فلا سبيل لك لاستعمالهما اذا صحَّ ما بلغني عنك وهو انك تودُّ ان تسير في خطوات خالك العظيم. فقد منحني الالهة اعظم المنح واجلّها محبة ذلك الرجل الالهي واي محبة. قد يجهل الناس ما كان لي من المنزلة في عينيهِ ولكنني لا اريد ان يبقى ذلك مكتومًا عنك انت وريثهُ لاسيما وان القضاء عليَّ اولي يُنتظر منك. وهذه المكاتيب حججي التي ادافع بها عن نفسي وعليها اعتمد لكي اريك نفسي كما انا لا كما يصفني اهل الحسد والنميمة هاتي صندوق العاج يا ايراس. هذا الصندوق هدية من خالك القيصر العظيم وفيهِ مكاتيب الحب التي بعث بها اليَّ

وفتحت الصندوق بيدين مرتجفتين وهي تقول هذا الصندوق الصغير اثمن ما عندي من الجواهر والكنوز والصفحات التي فيهِ تنطق بغير لسان لان اعقل الرجال واعظمهم نسج بردها ورب البلاغة والبيان نظم عقدها فعبَّرت عن الحب الطاهر الذي كان يفيض من نفسهِ الشريفة. لو كنتُ احب الافتخار يا اكتافيانوس لحسبت كل سطر من هذه السطور عنوان فخر ابدي فان المرأة التي قال عنها يوليوس قيصر انها تسلَّطت على قلبهِ يحق لها ان تفتخر ولو وقفتِ الآن تتوسَّل الى خليفتهِ لكي يريحها من الحياة

فقال من ينكر عليك ان هذه المكاتيب ثمينة كما تصفين

فقالت بل هي اثمن من كل ثمين لانها شهودي التي تبررني في عيني العالم كما ساتلو عليك. وان لمن اقبح الامور في عيني ان نستعمل ما لا يُقصَد بهِ الاَّ مخاطبة القلوب وسيلةً لغرض من الاغراض ولكنني في حاجة الى من يدافع عني وهذه هي وسائل دفاعي وهي ترفع اصغر الصعاليك الى مقام الملوك . فان يوليوس قيصر لم يخضع الاَّ لسلطة اثنين لسلطة الموت القهَّار ولسلطة هذه المرأة التعيسة . ما اشأم هذا الطباق ولكنني لا أأباهُ وارجو منك المعذرة ان كان في ما اتلوهُ مدح لنفسي او تثقيل على سمعك فان للضرورات احكاماً . اسمع ما يقول خالك "منكِ ايتها المراة البريعة (١) عرفتُ طيب الحياة بعد ان زالت نضرة الشباب"

قرأت هذه العبارة وسلمت الكتاب اليهِ واخذت تفتش عن غيرهِ فردهُ اليها قائلاً اني ارى انفتكِ من استخدام هذه السطور في الدفاع عن نفسكِ واني اعلم ما فيها كأَني قرأت كل حرف منها وهل احتاج الى شهادة مكتوبة وانا ارى امامي سحرًا يختلب العقول

فتبسمت لهُ تبسماً من نوع الكلام الذي كان يتملقها بهِ ولحظ ذلك فقال في نفسهِ حقًّا ان جمال هذه المرأة فتَّان وهي في هذا السن فكيف كانت في صباها

كانت لا تزال فتانة تفتن من ينظر اليها بجمال منظرها واعتدال قوامها ورخامة صوتها وبهابة الملك البادية في هيئتها وحركاتها وزادها الحزن اجتذاباً للنفوس. اما اكتافيانوس فكان يعرف كيف يتقي سهام لحاظها اكثر من خالهِ لكن بقاءها في قيد الحياة كان لازماً لهُ ولذلك تظاهر بالاعجاب بها لكي يصرفها عن عزمها ويدخل مدينة رومية ظافرًا وهي في موكبهِ فيقنع الرومانيين واهل المسكونة انهُ اقدر من خالهِ واعظم . وكان لا بدَّ لهُ من ملاطفتها ومجاملتها لكي لا توجس منهُ شرًّا فقال لها بلسان ذلق : " ان خالي العظيم كان يعنى بربات الجمال ومن ينظرنَ اليهِ بعين الرضى فيقابلهنَّ بالمثل ولقد كان امهر مني في امور كثيرة فافلح فيها كلها اما انا فاراني دائماً غائصاً في مهام الملك وحروب الدولة ومشاغلي الكثيرة تمنعني من الاستسلام لربة الجمال كما استسلم لها خالي في هذا المكان ولو اطعت قلبي لما كنت اطلب مبتغي قلبي الاَّ من يدكِ ولكن هيهات فاننا نحن الرومان نتعلم ان نكبح نفوسنا ونفضل مطالب الوطن على مطالب القلب لان الزواج ليس من لوازم الحياة . مالكِ تنغضين رأسك ألم يعجبكِ كلامي

فقالت كلاَّ لانهُ غير صحيح واذا صدق حزري فانت تشير الى زواجي بانطونيوس بعد زواجهِ باختكَ . وكنت اود ان لا اتكلم في هذا الموضوع ولكنك اجبرتني على الكلام فيهِ بهذا التلميح ولو كان صديقك ارمينيوس يشير اليَّ من ورائك لكي لا اتكلم فيهِ . فاني انا كنت زوجة

(١) الفائقة عقلاً وجمالاً

لانطونيوس حسب شريعة هذه البلاد قبلما زوجتهُ اختك فلا تحسب انهُ تركها لاجلي بل قد تركني لاجلها. وقد زوجتهُ بها لا لانهُ يحبها بل لان السياسة اقتضت ذلك لاجل حفظ السلم والامن في البلاد

فقال نعم ولكي نحجب دماء الوف من العباد لقد ادركتِ غرضي بفطنتكِ ولولا ذلك ما كنتُ اخترتُ لاختي رجلاً لا تضمن لها السعادة معهُ ولا الومهُ على تركها بعد ان رآكِ. وانا لولا رغبتي في مشاهدة المرأة التي خصَّتها الالهة بما لم تخص بهِ امرأة اخرى من جمال الطلعة وذكاء العقل ما كنت وصلت في حروبي الى هنا ولكن قلب النساء لا يفتح لرجل سادج مثلي كما فتح ليوليوس قيصر ومرقص انطونيوس

فقالت ان كان فيَّ شيءٌ من ذكاء العقل فقد اذهبتهُ ليالي الشقاء الذي حاق بي. وان كنتَ تود ان تعرف ما وهبتني اياهُ الالهة فخلصني من هذه الحال واسمح لي بالحرية التي تطلبها نفسي

فقال ان امركِ موقوف عليكِ فان شئتِ فلكِ كل ما تتمنين

فقالت كيف تقول ذلك وامرنا كلهُ في يدك ولا اطلب منك الاَّ ان اعرف ما اعددتهُ لي ولاولادي

فقال لقد اعددت لكِ كل ما تشتهين

فقالت اتقول ذلك وانت تحاول ان تتجنَّب التصريح بما اعددتهُ لي ولاولادي

فقال اتلومينني وتشكين مني وانا الأحقُّ بالشكوى. ألا ترين ان إخلاصي ابقى لكِ هذا المقام في نفسي بعد ان بذلتِ جهدكِ في اغاظتي فقد كنتِ ناوية ان تحرقي كل كنوزكِ وجواهركِ لكي لا يقع منها شيءٌ في يدي. نعم ان الغالب لا يحقُّ ان ينتظر الصداقة من المغلوب ولكن اكبر الاعداء لا يقدم على عملٍ شر من هذا

فقالت ما لنا وللماضي من في الدنيا يحفظ اموالهُ لمن يأتيهِ محارباً. يقال انهُ اذا هجم الصيَّاد على الوعل وسدَّ عليهِ طرق النجاة دفعهُ الوعل عن شاهق ولو وقع معهُ وهلك الاثنان معاً. وهذا شيءٌ في الطبع لا يمكن التغلب عليهِ فلننسَ الماضي. وقل لي انك تسمح لاولادي بتبوُّء عرش مصر تحت سيطرة رومية وتسمح لي ان اسكن حيثما شئت فاسلم اليك كل ما املكهُ عن طيب نفس

فقال ان الغالب لا يصعب عليهِ ان يستولي على كل ما يملكهُ المغلوب هذه بشروط الحرب المتبعة عند جميع البشر ولكنني لا اريد ان اجري عليها معكِ لاني اراك فوق البشر. ويقال

ان ثروتك واسعة جدًّا وقد بذَّر انطونيوس جانبًا كبيرًا منها ولكن الذهب في هذه البلاد كالعشب كلما قطعتهُ زاد نموًّا

فقالت انك تتكلم عن الكنوز التي جمعها اسلافي العظام بنصال سيوفهم وحسن سياستهم مدة ثلاثة قرون متوالية وزينوا بها ملكهم ومملكاتهم . ولقد كان البخل ابعد الطباع عن انطونيوس ولكن مهما كان طمع الانسان شديدًا لا يستقلُّ الكنوز الباقية . وهاك جريدة ما في خزائننا من الجواهر والحلى وكل ما فيها من ذهب وفضة

وكان سلوقس امين بيت المال واقفًا والجريدة في يدهِ فقال ان الملكة اختلست بعض الجواهر وامرتهُ ان لا يذكرها في الجريدة . ولما قال ذلك امتقعت كليوباطرة واصفرت شفتاها ثم صعد الدم الى رأسها ولم تعد تستطيع ان تتمالك نفسها فلطمت ذلك الخبيث على وجههِ مرارًا حتى نهض اكتافيانوس وتوسل اليها ان تكف عن لطمهِ ولو كان يستحق ذلك لئلاَّ توجع يديها

فجلست تلهث وقد تملكتها سورة الغيظ ووضعت يدها على صدغيها والتفتت الى اكتافيانوس وقالت اعذرني عمَّا بدا مني ومن يستطيع ان يملك طبعهُ وهو يرى عبدًا خسيسًا مثل هذا يتهمني هذه التهم . ولكن مالنا ولهُ الآن لقد جئتني واعدًا اياي بالخير فهل وعدك لي كنقط الافيون التي يسقاها المحموم لتسكين الحمى وهل تقصد بهذه المواعيد خداع هذه المرأة المسكينة

فرفع راسهُ وقال بصوت واضح ولفظ صريح حاشا لي ان افعل ذلك وكل من يظن ان خليفة قيصر يستطيع ان يخدع امرأة كريمة وملكة عظيمة كانت عزيزة على قلب خالهِ فانهُ يهينني اهانة لا اغتفرها لهُ . ولكنَّ غيظك دعاك الى هذا القول فلا الومك وانما انا شاكر لما حدث لانهُ اراني اياكِ في اجمل صورة صورة الغيظ مما يشين والترفع عن الدنايا . اراني نفس ملكة مصر تكاد تضطرم من شدة انفعالها

وكانت لحاظ كليوباطرة قد فعلت باكتافيانوس رغمًا عن اتقائها فقال لعلها تحبني كما احبَّت خالي وتعلمني ما هو نعيم الحياة كما علمتهُ ما اجمل هذه الطلعة وما اذكى هذا العقل وما ابهى هاتين العينين وما ادلهما على عواطف نفسها . من يقول ان نضارتها ذبلت وجمالها ذوى . لا تزال فتَّانةً كما كانت حينما رآها يوليوس قيصر ومن تعطف عليهِ يقيم معها في نعيم مقيم . وحاول ان يدنو منها ويقبل يديها ولحظت منهُ ذلك فتبسمت تبسم الازدراء لانها قالت في نفسها كيف اخون عهدي لزوجي واستسلم للقوَّة وابقي لاولادي اسمًا يلعنهُ الخلف . فاكتفت بما بدا من اكتافيانوس من الاستسلام لقوتها وقالت لقد قهرت القاهر فتبسمت تبسم الازدراء كما تقدم وادرك الخطر الذي كان فيهِ فتربَّص في مكانهِ وخجل من نفسهِ فصعد الدم الى رأسهِ حتى كاد يطفر من

وجههِ فنظر حولهُ ورأى كل عين شاخصة اليهِ فزاد اضطرابهُ . لكنهُ تمالك نفسهُ ورفع رأسهُ كبرًا وقال احبُّ الينا ان نراك ساكنة مطمئنة كما يليق بالملوك ويتعذَّر عليَّ ان ادرك ما تكنهُ النفوس المتقدة وانا على ما ترين من السذاجة والتأني

فاستغربت هذا الانقلاب فيهِ لانهُ عاد الى الحذر والتوقي بعد ان كاد يقع في هواها . ورجل مثلهُ لا يُلسع من جحر مرتين فعزمت ان تبيّن لهُ انهُ اخطأ في حكمهِ عليها وفسَّر انعطافها اليهِ على غير ما قصدت فقالت لهُ بأنفة

ان الشقاء الذي انا فيهِ يطفئُ كل نار اما الحب فان قلب المرأة لا يُفتح لهُ اذا يئست من كل سلطة ومسرَّة . انت لم تزل في عنفوان صباك ولذلك تتوق الى الحب وهذا لا يخفى عليَّ . اما انا فلم اعد اتوق الاَّ الى خطيب واحد يريحني من هذه الحياة وعندهُ اجد الراحة التي تمنيتها منذ صباي الراحة الخالية من الالم . اراكَ تتبسم ويحق لك التبسم لان ماضي حياتي لا ينطبق على ما اقول وللناس اهواءٌ ومذاهب والمرءُ يجهل نفسهُ فكيف يعرف غيرهُ . ولقد رأى الناس ان الراحة هربت مني او اني انا هربت منها ولكن لا بدَّ لي من ان اجدها ونخري اني نجوتُ من امرين من الذل ومن العار . ووقفتْ هنا لحظةً كأنها ارادت تفسير معناها ثم قالت اني واثقة بكرم اخلاقك فتقي من هذين العدوين المرأة التي رأيتها الآن اهلاً لاكرامك اولما يفوق الاكرام لان هذا لم يخفَ عليَّ وساحفظ ذلك ولا انساهُ . والآن ايها الامبراطور العظيم قل لي ماذا اعددت لي ولاولادي وما اتوقعهُ من كرمك

فقال ان مستقبلك ومستقبل اولادك يتوقفان على مقدار ثقتك بكرمي

فقالت وان كنتُ اثق بكرمك واعتقد انك تمنحني كل ما اطلبهُ وذلك ليس بالامر الصعب عليَّ فاي شيءٍ تعدهُ لي

فقال الشيءُ الذي تريدينهُ صوريهِ كما تشائين حسب قوَّة خيالك الذي فسَّر كل نظرة نظرتها اليكِ وجعل اعظم رجال رومية اسعد الاحياء . وتطلَّع حينئذٍ من شباك الغرفة ورأى الشمس فاقسم بزفس وقال فات الوقت وصارت الساعة الرابعة بعد الظهر واني آسف جدًا لانهُ لم يعد في طاقتي ان اطيل هذا الحديث البهيج وللضرورات احكام ولا بدَّ لي من ان استأذنكِ في الانصراف

قال ذلك ووضع يدهُ على صدرهِ . فقالت لهُ وهي تلهث واين جوابك عن سؤالي . فقال هل اكرر ما قلت لكِ . حسنًا . اني اعفو وامنح واكرم على مقدار ما تثقين بي وتتكلين عليَّ . ثم ودَّعها وخرج

ولما أُغلق الباب وراءَهُ قالت ايراس ذهب كالزيبق الفرَّار لا يُمسك ولا يُقبض وقالت كليوباطرة بل كالجليد في بلاد الشمال بارد صقيل فلا امل ولا رجاء . فقالت ايراس ولكن دولابلاَّ وعدكِ ان يطلعكِ على ما اعدَّهُ لكِ ولا بدَّ من الانتظار

ولما خرج اكتافيانوس وجد دولابلاَّ واقفاً ينظر الى خيل مركبتهِ فقال لهُ أرأيت ما اجمل هذه الجياد اهداها اليَّ اهل المدينة هلمَّ معي ما اعجب هذه المرأة وما اذكاها

فقال دولابلاَّ اظن ان هذا رأي كل من رآها. فقال اكتافيانوس انها ليست اصغر من امك ومع ذلك فاني اخشى عليك منها ما اعذب كلامها وما اوقعهُ في النفوس · لطفٌ على جلالة قدرٍ وانسٌ مع مهابة ولكن لا يليق بي ان اصبَّ زيتاً على نار الحب فقد يكون قبسها في فؤادكَ ولقد كادت تلعب عليَّ وهي تخاطبني في اهم الامور · ثم ضحك على غير عادتهِ

فقال لهُ دولابلا قلَّما اراك تضحك فلا بدَّ من ان تكون هذه المقابلة انتهت على ما تشتهي

فقال هذا الذي ارجو وقد تلطَّفتُ لها في الحديث ما امكن

دولابلاَّ — حسناً فعلت وبماذا وعدتها يا ترى

اكتافيانوس — ان أُحسن اليها اذا وثقت بي

دولابلاَّ — وكيف يكون حالها وحال اولادها

اكتافيانوس — على حسب ما تثق بي

وكان اكتافيانوس يودُّ هذا الفتى ويثق بهِ ويتوقَّع ان يكون من اقوى انصارهِ فقال لهُ بصوت منخفض لا اخفي عليك اني امنح هذه المرأة العجيبة كل ما تريد بعد ان آخذها في موكبي الى رومية فاني ان لم آخذها معي حقَّ للرومانيين ان يلوموني وستمضي عن قريب الى سورية اما هي واولادها فارسلهم الى رومية بعد ثلاثة ايام فان كانت تسير في موكب الظفر الذي ادخل فيهِ رومية وتؤثر التأْثير الذي انتظرهُ في نفوس السكان فلا يصعب عليَّ ان احسن اليها بعد ذلك

سمع دولابلاَّ هذا الحديث صامتاً ثم ودَّع اكتافيانوس وعاد ادراجهُ الى قصر لوخياس وبعد دقائق قليلة عرفت كليوباطرة كل ما دارَ بينهما

الفصل السابع والعشرون

ذهبت انوكس في الصباح الى بستان ارخيبوس في قنوبس وعادت بسلة من انخر التين ومرت على ساحة السمك وانفردت بالصياد في قاربهِ ثم عادت الى القصر وسلة التين معها ·

وذهبت الملكة الى المدفن في الصباح ووضعت اكليلاً من الزهر على ناووس زوجها وقالت له لبَّيك لقد طلبتَ في وصيتك ان تدفن الى جانبي فلا ابخل عليك بذلك لان لا شيء من رزايا الحياة اصعب عليَّ من فراقك . وسارت من هناك الى البستان وعانقت اولادها ولم يخفَ غرضها على ارخبيوس لكنهُ تجلَّد ولم يقل شيئاً فجعلت تشكرهُ على عنايتهِ الماضية والتالية وتتكلم عن قرب التقائها بانطونيوس . فقال لها وهل نسيتِ تعاليم ايقورس عن الفناء الخالي من الالم فقالت اني لم ارَها صحيحةً من كل وجه بعد ان عرفت ما في كاس الحب من الالم ولا بدَّ من آلهة اخرى غير الآلهة التي اخبرنا ايقورس عنها فاني افضّل الآن الخلود ولو في العذاب على الفناء الذي لا اشعر فيهِ بالم ولا بلذة واظن انك من رأيي

فقال اني كذلك بعد ان ذقت كاس الحب وعلمت ان راحتهُ عنَّي واولهُ سقمٌ وآخرهُ قتلٌ . ولما قال ذلك انحنى على يدها ليقبّلها فامسكت رأسهُ بين يديها وقبَّلت جبينهُ فنسي سنَّهُ وخانهُ الجلَد فخنقتهُ العبرات . وعادت الملكة الى القصر متكئة على ذراع شارميان ثم اغتسلت ولبست افخر ما عندها من ثياب الحداد واتكأَت على اريكة وقُدّم لها الطعام فاكلت هي وشارميان وايراس واتتهنَّ انوكس بسلة التين فاكلنَ منها وادَّعت الملكة انها استحسنت منظرها فابقتها امامها على مائدة وقالت انها تودُّ ان تنام قليلاً فخرج الخدم من حضرتها ولم يبقَ معها الاَّ شارميان وايراس فنظرت اليهما وقالت . ملكة مصر تجَرُّ في الشوارع وراء مركبة اكتافيانوس فرجةً لاهل رومية . ما ابدع هذا الرأي وما امهر مبتدعهُ . يدَّعي هذا الاحمق انهُ يعرف طبائع الناس ويستطيع ان يخفي مقاصدهُ عنهم . ساء فألهُ وكذبت ظنونهُ . سأُريهِ ان ابنة البطالسة لا تؤْخذ على غرَّة

قالت ذلك وابرقت اسرتها وبدا الابتسام على وجهها وجعلت ترفع التين من السلة تينة تينة الى ان وصلت الى الصل فقالت ها هو ثم التفتت الى ايراس وشارميان وقالت لهما اني اشكركما يا عزيزتيَّ على حبكما لي واعتنائكما بي . الموت رهيب ولكن لا بدَّ من تجرُّع كاسهِ . ما لي ارى الصل لا يتحرَّك قد تحرك الآن لبَّيك يا انطونيوس لبيك . اليوم انال الراحة التي سمعتُ عنها في بستان ايقورس وهل هي اليمة او خالية من الالم لا اعلم لكن الحب لا يخلو من الالم . اين الاولاد ماذا يقولون عن امهم . قالت ذلك وانَّت لان الصل لسعها حينئذٍ في ذراعها ولم يكن الاَّ ثوانٍ قليلة حتى امست جثة بلا روح

فنظرت ايراس اليها وقالت ما اجملكِ حتى في الموت لقد عجز الدهر عنكِ وابى ان يذلّك في موكب الظافر . ثم ارتمت عليها تقبل يديها ووجنتيها واغمضت عينيها وفعلت شارميان مثلها

وسمعتا حينئذٍ صوت وقع الاقدام في الرواق فقالت شارميان اين الدبابيس فناولتها ايراس دبوساً وقالت لها انخسيني بهِ ولا تؤلميني كما المتني مرةً يوم ساعدتِ ديون عن الانفصال عني. لكنني عفوت عما مضى ولا اذكرلكِ الاَّ حبكِ لي وان شئتِ فانا انخس يدكِ بدبوس آخر فضمتها شارميان الى صدرها وعانقتها ثم نخست ذراعها بالدبوس ومدَّت لها ذراعها فنخستها هي ايضاً بدبوس آخر

وفعل السم فعلهُ حالاً وأُغمي على الاثنتين وبعد قليل قُرع الباب ولما طال القرع ولم يفتح احد كُسر قفلهُ وفُتح فاذا شارميان مطروحة على الارض وايراس في غمرات الردى وهي تصلح التاج على رأس كليوباطرة . ودخل رجال اكتافيانوس حينئذٍ ونظروا الى كليوباطرة وهي متكئة على اريكتها والتاج على رأسها كأنها لا تزال في قيد الحياة . فقال واحد منهم " ما من امرأة مثلها اعجب بها اعظم الرجال واحبها اسماهم . ردَّدت الامم صدى شهرتها في كل المسكونة وسيدوم اسمها مدى اجيال الدهر . اذا اطنب الناس في وصف جمالها الفتان وعقلها الراجح وعلمها الواسع وحبها الذي عجز الموت عن ان يضع لهُ حداً وشجاعتها التي جعلتها تفضل الموت على العار وجب ان لا ينسوا مدح هاتين الامرأتين اللتين اقامتا بموتهما معها اعظم تذكار لها . لان المرأة التي تستطيع ان تربط قلوب وصيفاتها بها حتى يفضلنَ الموت معها على الحياة بعدها لا بدَّ وان يكون فيها من الحب والصلاح ما لا يكون في غيرها " (٢)

وانتشر نعي كليوباطرة في المدينة فكان في كل بيت مناحة عليها . وكانت قد كتبت الى اكتافيانوس تخبرهُ بعزمها على الانتحار فلما قرأ كتابها صار الضياء في عينيهِ ظلاماً لكنهُ امر ان تدفن دفناً يليق بشانها وحسب لهُ ذلك من كرم الاخلاق فدُفنت مع زوجها انطونيوس ودفنت معها ايراس وشارميان . واظهر هذا الكرم لاولادهما حتى يكتسب رضى الناس واعجابهم فكفلتهم اختهُ اكتافيا وربتهم في بيتها واناطت تعليمهم وتهذيبهم بارخبيوس حسب مشيئة امهم

ثم امر اكتافيانوس بكسر التمثال المنصوب لكليوباطرة وانطونيوس لكنهُ سمح ببقاء كل التماثيل المنصوبة لكليوباطرة وحدها . ويقال ان ارخبيوس اعطاه الفي وزنة حتى سمح بذلك فافتقر اكراماً لتذكار الملكة التي اخلص لها الولاء

(٢) هذا الكلام منقول حرفياً عن المؤرخ فلوطرخس في كلامهِ على كليوباطرة

ملحق للمترجم

حاولتُ اتباع الاصل على قدر الامكان لكنني اوجزت في بعض الاماكن لكي لا يمل القارئ ولا تطول الرواية اكثر مما قدرتُ لها واستثقلت اسم بروكيولجوس فسميتهُ ارمينيوس. وقد وقع في الرواية اغلاط مطبعية وغير مطبعية تركت اصلاحها لفطنة القارئ

والاشخاص التاريخية الذين بُنيت عليهم الرواية ستة وهم

(١) ﴿ كليوباطرة ﴾ وهي ابنة بطليموس اوليتس ولدت سنة ٦٩ قبل المسيح واوصى لها ابوها بالملك من بعدهِ مشتركةً مع اخيها الاصغر فتكون زوجةً لهُ وشريكة في الملك لكنَّ وصيَّ اخيها طرداها من مصر فلجأَت الى سورية وجيَّشت الجيوش وحينئذٍ جاء يوليوس قيصر الى مصر وهو يطارد القائد بمبيوس فرآها واحبها وساعدها على استرجاع الملك وولدت لهُ ولداً سُمي قيصاريون اي القيصر الصغير ثم تبعتهُ الى رومية. ولما اغتيل ونشبت الحرب الاهلية بين خلفائهِ دعاها احدهم مرقص انطونيوس الى طرسوس وهو ناقم عليها فسارت اليهِ وكانت في الثامنة والعشرين من عمرها ففتنتهُ بجمالها وعاد معها الى الاسكندرية. ثم مضى الى رومية واقترن باكتافيا اخت اكتافيانوس لكنهُ هجرها حالاً وعاد الى كليوباطرة فلاقتهُ الى سورية وسارت معهُ الى الفرات وعاد معها الى مصر وبذل لها كل مرتخص وغالٍ حتى كرههُ الرومانيون. وكان قد اقتسم المملكة الرومانية هو واكتافيانوس فحرَّضتهُ على محاربتهِ فكانت واقعة اكتيوم البحرية التي دارت فيها الدائرة على اسطولها ثم انتحرت كما تقدَّم في الرواية وهي في التاسعة والثلاثين من عمرها وليس بين نساء التاريخ ملكة اشهر منها

(٢) ﴿ يوليوس قيصر ﴾ هو اشهر قياصرة الرومانيين ولد سنة ١٠٢ قبل المسيح ودرس البلاغة في جزيرة رودس على ابولونيوس وعاد الى رومية سنة ٧٤ قبل المسيح وكان من الحزب الجمهوري فصار من اكبر زعمائهِ وغلب حكومة سلاَّ بمساعدة بمبيوس وكراسس واعاد الحكومة الدستورية والَّف معهما ما يسمَّى بالزعامة المثلثة Triumvirate وانتُخب قنصلاً وزوَّج ابنتهُ جوليا لبمبيوس ليشد ازرهُ بهِ ولما انتهت مدة قنصليتهِ جُعل والياً على غاليا وشمالي ايطاليا وشرقيها فغزا الغزوات الكبيرة ومرَّن جنودهُ على القتال واخضع بلاداً كثيرة للسلطة الرومانية حتى بلغ بريطانيا في غزواتهِ وغار منهُ بمبيوس وجعل مجلس الشيوخ يأمرهُ بان يستعفي ويصرف جنودهُ وانتدب المجلس بمبيوس لمحاربتهِ فدارت الدائرة على بمبيوس فلجأَ الى بلاد اليونان وجمع

الجنود منها ومن مصر والشام لكن يوليوس قيصر تبعهُ الى ثساليا وحاربهُ في سهول فرساليا ومزَّق شملهُ فهرب الى مصر واغتيل فيها

وسار قيصر الى مصر وفُتِن بجمال كليوباطرة وردَّ لها الملك كما تقدَّم وعاد الى رومية ثم تبع شبيو وكاتو من قواد بمبيوس الى افريقية وقهرهما فدانت له المملكة الرومانية كلها واجرى العدل فيها فلُقِّب بابي بلادهِ وبالامبراطور وجُعل قنصلاً مدة عشر سنوات وعُدَّ شخصهُ مقدساً ووُضع تمثالهُ في الهيا كل مع تماثيل الآلهة وسُمي شهر يوليو باسمهِ وبينما هو مهتم بامور كثيرة تفيد بلادهُ تآمر ستون من اشراف البلاد عليهِ واغتالوهُ لانهُ عزم ان يجعل الولاية وراثيةً وكان ذلك سنة ٤٤ قبل الميلاد

(٣) ﴿ انطونيوس ﴾ هو مرقص انطونيوس احد القواد الثلاثة الذين تولوا المملكة الرومانية بعد اغتيال يوليوس قيصر . ولد سنة ٨٣ قبل المسيح وكان مبذراً في صباهُ فهرب الى اثينا من وجهِ مداينيهِ وسمع الفلسفة هناك ثم جُعل قائداً للفرسان وحارب في فلسطين ومصر فامتاز بالشجاعة والاقدام وعاد الى رومية وساعد يوليوس قيصر فجعلهُ قائداً للفرسان وولاهُ على ايطاليا . ولما اغتيل يوليوس قيصر نهض انطونيوس واثار الرأي العام على مغتاليهِ حتى اضطروا ان يهربوا من رومية فخلا لهُ الجوُّ فيها . ثم جاءهُ اكتافيانوس وحاربهُ وقهرهُ فذهب الى غاليا وعاد منها ومعهُ القائد لبيدوس واتفق الثلاثة على الولاية معاً فاخذ اكتافيانوس افريقية وسردينية وصقلية واخذ انطونيوس غاليا ولبيدوس اسبانيا وحاربوا جمهورية رومية وقتلوا خصومهم وتزوَّج انطونيوس باكتافيا اخت اكتافيانوس واستتبت السيادة لهذين القائدين على المملكة الرومانية كلها . فتولَّى اكتافيانوس نصفها الغربي وانطونيوس نصفها الشرقي واكتفى لبيدوس بافريقية (حيث بلاد تونس الآن) . وانغمس انطونيوس في الملذات مع كليوباطرة كما تقدم فقهرهُ اكتافيانوس في واقعة اكتيوم البحرية والجأهُ الى الانتحار في الاسكندرية سنة ٣٠ قبل المسيح

(٤) ﴿ اكتافيانوس ﴾ هو الملقب اغسطس قيصر ولم يذكر بهذا اللقب في الرواية لانهُ لُقِّب بهِ بعد حوادثها . ولد سنة ٦٣ قبل المسيح من بيت غنيّ ومجد وابوهُ كايوس اكتافيوس وامهُ اتيا ابنة اخت يوليوس قيصر . ربي في رومية وتبناهُ يوليوس قيصر وجعلهُ وارثاً لهُ وبعث بهِ الى ابلونيا ليدرس الفنون الحربية فلما اغتيل يوليوس قيصر عاد اكتافيانوس الى ايطاليا ودخل رومية وكانت قد انقسمت بين الحزب الجمهوري وحزب انطونيوس . الاَّ ان الفوز كان لانطونيوس فعامل اكتافيانوس بالجفاء في اول الامر وابى ان يسلمهُ ميراث خالهِ فنشب القتال

بينهما وكان الفوز لاكتافيانوس وانتصر لهُ شيشرون الخطيب المشهور فمال الشعب اليهِ وحُسب زعيماً للجمهورية . ثم عاد انطونيوس ولبيدوس واتفقا مع اكتافيانوس على الغاء الجمهورية واقامة زعامة مثلثة فاقتسموا السلطة وتوالت الحوادث المذكورة في الكلام على انطونيوس كما تقدم . وعاد اكتافيانوس الى رومية سنة ٢٩ قبل المسيح وقد دانت لهُ المسكونة بعد ان اصلح امور مصر والشام وبر الاناطول وبلاد اليونان فأغلق هيكل يانوس (اله الخروج للحرب) ونادى بالسلام العام في المسكونة كلها . وأُطلق عليهِ حينئذٍ لقب اغسطس اي المقدَّس ثم لما مات لبيدوس سنة ١٢ قبل المسيح لُقِّب بالحبر الاعظم . فاحسن سياسة البلاد واكثر من تشييد المباني الفخيمة حتى قيل انهُ وجد رومية مبنية بالقرميد فبناها بالمرمر وبنى مدناً كثيرة في انحاء السلطنة الرومانية وعضد العلوم والآداب ونبغ في عصرهِ الشعراء والخطباء وسمي شهر اغسطس باسمهِ اكراماً لهُ . وتوفي سنة ١٤ للمسيح وهو في السابعة والسبعين من عمرهِ

(٥) ﴿ پمپيوس ﴾ قائد روماني مشهور كان مناظراً ليوليوس قيصر ولد سنة ١٠٦ قبل المسيح واشتهر في صباهُ بقيادة الجيش فلُقِّب بالعظيم (مغنس) . وانتخب قنصلاً للجمهورية الرومانية سنة ٧٠ قبل المسيح وحارب متردات ملك بنطس وتغران ملك الارمن وانطويوخس ملك سورية وقهرهم واخضع اليهود وفتح اورشليم وتزوج بجوليا بنت يوليوس قيصر فتمكنت ربط الوئام بينهُ وبين حميهِ لكنها ماتت بعد قليل فوقعت النفرة بينهما ولجأَ الى حزب الاشراف فنشبت الحرب الاهلية ودارت الدائرة عليهِ فلجأَ الى مصر واغتيل فيها

(٦) ﴿ ايبقورس ﴾ فيلسوف يوناني مشهور ولد في جزيرة ساموس سنة ٣٤١ قبل المسيح وجاء اثينا وعمرهُ ١٨ سنة وعكف على درس الفلسفة وانشأَ مدرسة للفلسفة في مثيلين ثم عاد الى اثينا وانشأَ مدرسة فيها في بستان اشتراهُ لهذه الغاية فسمي اتباعهُ بفلاسفة البستان وكان يعلّم ان اللذة هي الخير الاعظم وعاش هو وتلامذتهُ عيشة العفَّة والبساطة فكثر اتباعهُ جداً واحبهُ مريدوهُ لسمو عقلهِ وكثرة انسهِ ولين عريكتهِ . وتوفي سنة ٢٧٠ قبل المسيح والَّف في ما قيل ٣٠٠ مجلد في كثير من المواضيع الفلسفية والطبيعية . ومن اشهر تعاليمهِ ان اكثر الشرور التي تصيب الناس مصدرها الخوف من الالهة ومن الموت ولذلك يجب بذل الجهد في ازالة هذين الخوفين

اما الاسماء الباقية فموضوعة او قليلة الشهرة